www.awu-awu.sy

الأسبوع الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العدد «1313» 2012 /9/29 م - 14ذي القعدة1433هـ
السنة السادسة والعشرون

٢٤ صفحة - السعر: ١٥ ل.س

اللوحة للفنان التشكيلي

ندوة المثقفون العرب والأزمة السورية_ أفكار وحلول «٢»
نتائج وتوصيات و بيان ختامي

ملف
القصة المترجمة

واجبُ الأدباء الأخلاقي

البُطينُ الشاعر

في ثقافة الأطفال
تعالَ نلعبْ.. تعال نقرأ.. تعال نتعلّم!

نجاح بالوهم...

قلق الموت والخيالات المجنحة

نجاح بالوهم...

راتب سكر

نجح فاضل في سنوات عمله الوظيفي الطويلة، في جمع مبالغ مالية كبيرة. لم يكن نجاحه ذاك مرتبطاً بحجم راتبه المعلن في جداول الرواتب والأجور؛ إذ كان هذا الراتب المسكين يُستَهلك في قضاء حاجات العائلة المتنامية، قبل أن يطل العشر الثاني من الشهر.

عرف بالمصادفة ذات يوم بعيد، أن الناس الذين يراجعون دوائر الوظيفة التي يعمل فيها، مسكونون بهواجس وظنون، تصور لهم أن حاجاتهم لا تنقضي من دون دفع أتاوة مالية للموظف المختص مباشرة، أو عن طريق وسيط ذكي يتوسط بينهم وبينه. لم يعد يتذكر كيف راقت له الفكرة، وتجاوز حدود قبض الأتاوة عن كل معاملة ينجزها، إلى وسيط مزعوم يدبر قضاء الحاجات لأصحابها عند غيره من الموظفين. لم يعد يكتفي بقبض حصته غير الشرعية؛ بل تجاوز ذلك إلى إيهام الناس بأنه سيقضي لهم حاجاتهم عند غيره من الموظفين، موحياً بأن طول باعه الواصلة إلى أصحاب الأمر والنهي يخوله بذلك، ولما كان صاحب الحاجة أرعن، تقوده حاجته إلى تلبية كل سؤال في سبيلها، تحوّل فاضل إلى وسيط يراكم الأموال في جيوبه، ويدّعي أحياناً أنه فاعل خير فقط، لا يبتغي إلا مرضاة وجه الحق، وإيصال الحقوق إلى أصحابها، فما يتقاضاه من مبالغ لا يدخل منه شيء إلى جيبه، فما هو إلا وساطة خير..! عندما تنقضي حاجات الناس بسبلها الطبيعية، يضحك معهم مقهقهاً في خيلاء، باسطاً يده للسلام وغيره، وعندما يتعثر قضاء تلك الحاجات لسبب من الأسباب، يقطب حاجبيه مفنّداً العوائق التي حالت دون ذلك تفنيداً يسوّغ قبض المتوجب (أو نصفه على الأقل)، علّ المرة القادمة تشهد فلاح الأمور والغايات.

لم تسمح له الأنظمة والقوانين الجديدة بتمديد بقائه في الوظيفة عند وصوله سن التقاعد في العام الماضي، لذلك وجد نفسه بعيداً عن ساحة الأخذ والرد التي درّت عليه عوائد كثيرة في الماضي. نصحه صديق له باستثمار ما جنته يداه ومواهبه في افتتاح مطعم حديث؛ لأن العمل في المطاعم لا يتأثر بركود الأسواق وحركة الاقتصاد؛ فالناس باتوا مدمنين على ارتياد المطاعم، واصطحاب زوجاتهم وأولادهم إليها، راقت له الفكرة، فافتتح مطعماً فارهاً في أحد شوارع المدينة الرئيسة، لكنه اكتشف أن الناس لا يدفعون المبالغ المطلوبة إلا إذا تذوقوا الطعام الحقيقي مباشرة، فقارن حاله الجديدة، مع حاله أيام الوظيفة القديمة التي كان يتقاضى فيها العائدات من دون تقديم أي طعام، وترحّم على ماضٍ تولّى..!

العـربي بوســاري

عبد الكريم أبازيد

العربي بوساري مواطن جزائري يدرس مادة علم الاجتماع في جامعة روما. تعرفت إليه في خريف عام 1988 في جامعة موسكو، أثناء عقد مؤتمر دولي لعلماء الاجتماع، وقد كنت هناك آنذاك بدعوة من الجامعة لاتباع دورة في التخطيط الإقليمي.

في جلسة مطولة جمعتني به في غرفتي في الجامعة بحضور ثلاثة من طلبة الدراسات العليا العرب في علم الاجتماع، حدثنا حديثاً ممتعاً ومفيداً، قال فيه: لقد أهدينا العالم الغربي في عصورنا الذهبية السالفة عالماً موسوعياً من أهم العلماء على مر العصور، ألا وهو ابن رشد. ويسمونه في الغرب (آفيروس) . (بالمناسبة فإن إحدى أكبر قاعات جامعة موسكو تحوي صوراً نافرة محفورة في أعلى جدرانها لأعظم العلماء الذين أنجبتهم البشرية على مر العصور، وبينهم عالمان عربيان هما ابن رشد وابن سينا). إن أهم فكرة طرحها ابن رشد-قال الأستاذ بوساري- هي تغليب العقل على النقل؛ أي حرية التفكير وعدم تقييدها بأية نصوص. فقد قال ابن رشد: إذا حدث تناقض بين المعنى الظاهري لبعض الآيات القرآنية والفلسفة، فإن الغلبة تكون للفلسفة، فالقرآن لا يمكن أن يناقض العقل، وإنما المعنى الظاهري وحده هو الذي يناقضه. ولذلك ينبغي تأويل هذه الآيات لاستكشاف معناها العميق أو الباطني الذي لا يمكن أن يناقض الفلسفة وقد ترجمت بعض كتبه إلى اللغة اللاتينية، ودرست في الجامعات الإيطالية، وكذلك في جامعة السوربون منذ القرن الثالث عشر، وكان له تلاميذ يؤمنون بأفكاره في جميع أنحاء أوروبا طوال العصور الوسطى وحتى مطلع العصور الحديثة. كما تعرضت أفكاره للإدانة من قبل رجال الكنيسة؛ حتى إن مطران باريس ابيتيان تامبييه أصدر أمراً كنسياً يمنع بموجبه تدريس كتبه في جامعة السوربون. وعدت أفكاره غريبة عن تقاليد المجتمع ومستوردة من العرب! تماماً كما تتهم الآن بعض السلطات العربية كل من ينادي بالديمقراطية وحرية الفكر بأنه يستورد أفكاره من الغرب؛ ويعدونها غريبة عن مجتمعنا وليست من قيمنا وتقاليدنا وتراثنا!! وكأن تراثنا هو الاستبداد والتحجر والتسلط على الفكر ومنعه من أن يأخذ مداه حرأطليقاً. بيد أن حرية التفكير هذه التي يقول عنها بعض الحكام العرب بأنها مستوردة هي في الواقع «بضاعتنا ردت إلينا».

هذه مقدمة لما أراد أن يصل إليه الأستاذ بوساري.

إن من أكثر الظواهر مأساوية في عالمنا العربي، مع بعض الفروق بين هذا البلد أو ذاك –تابع الأستاذ- هي الوصاية على الفكر، فالدولة عندنا تعد المواطن قاصراً وهي الوصية عليه، على أفكاره وتوجهاته السياسية والفكرية، فتراها تكرس وسائل إعلامها ومدارسها وجامعاتها لخلق إنسان حسب الطلب! وكل من يشذ عن هذه القاعدة مارقٌ خارج على القانون، وقد يزج به في السجن. ومثل هذا التوجه يخلق أناساً ضعيفي الشخصية غير قادرين على التفكير المستقل، وبالتالي غير قادرين على الإبداع. ليس لعلة فينا!! فهناك العديد من الشباب العرب الذين تفتحت أذهانهم في الغرب، وأصبحوا علماء مرموقين في مختلف المجالات.

لقد خلق هذا النمط من إدارة الحكم جيلاً عربياً اتكالياً لا مبالياً لا يمكنه أن يتحمل المسؤولية، وتنعدم لديه روح المبادرة؛ بل وينتظر التوجيهات من الأعلى.

إن حكامنا يريدون منا أن نستقيل من حرية التفكير، وندعهم يفكرون بدلاً عنا في قضايانا المصيرية. فكيف، في مثل هذه الظروف، ينمو جيل متفتح أكثر تطوراً من الجيل الذي سبقه؟ وسأورد لكم مثالاً محسوساً- تابع البرفوسور بوساري حديثه.

أنا ألقي محاضرات في عام الاجتماع في جامعة روما. أقول لطلابي إن محاضراتي هي مرشد للتفكير وليست نصوصاً وأفكاراً مقدسة. أنا من خلالها أطرح وجهة نظري. وهي ليست بالضرورة صائبة. ولكم كامل حرية الاختلاف مع وجهة نظري هذه، هكذا علمنا ابن رشد.

في الفحص الذي أجريته هذا العام استرعت انتباهي إجابة أحد الطلاب (أنا في العادة، لا أنظر إلى الأسماء في أثناء التصحيح)، لقد أجاب الطالب عن السؤال حرفياً كما ألقيته في المحاضرة. استدعيت الطالب، وقلت له سأعطيك علامة صفر، استغرب وقال محتجاً: ولكني كتبت الجواب حرفياً كما ألقيته علينا في المحاضرة! قلت له: ولهذا السبب سأعطيك علامة الصفر. أنت إنسان ولست آلة تسجيل، ولا أريدك أن تكون نسخة عني، أريد أن يكون لك تفكيرك المستقل، ولا مانع لدي أن تتفق معي في بعض الآراء، أما في كل الآراء فلا! أنا أريد من طلابي أن يختلفوا معي ويغنوني بأفكارهم، فأنا أيضاً أتطور معكم...

هل تعلمون من كان هذا الطالب؟ لقد كان طالباً عربياً!!

قلق الموت والخيالات المجنحة

طالب عمران

لاشك أن وجودنا في البيئة التي نعيش فيها محفوف بالمخاطر من كل جانب. فعدا عن عدم العناية بمتطلبات الجسم من الغذاء؛ إذ نتناول في أغلب الأحيان وجبات مريحة سريعة، دون القيام بالتمارين الرياضية الكافية لحرق المواد الزائدة التي تضر الجسم في غالب الأحيان..

وأحياناً يبالغ البعض بتناول اللحوم والدهون لدرجة الخطر أيضاً، حيث تتراكم الدهون والشحوم في جسمه وفي دمه أحياناً..

والوسط الذي نستنشق فيه الهواء وسط غير نقي.. إضافة إلى أننا معرضون لضغوطات يومية في العمل والتعامل مع الناس.. على اختلاف طبائعهم، إضافة لضغوطات المنزل والقلق حول المستقبل..

عدا عن القلق المالي الذي يعيشه صاحب الدخل المحدود، والمعاناة التي يعانيها الإنسان في عالم بدأ بسحقه بالتدريج..

إن كل الضغوطات عندما تتكاثر على المرء قد تؤدي إلى مجتمع مريض. رغم كل المحاولات للحد منها والتخفيف من أخطارها بواسطة رياضات نفسية أبرزها التأمل الباطني..

قد ينجح الواعي المدرك المؤمن، في حل مشاكله النفسية، وأحياناً يفشل في حالات العزلة الدائمة عن الأحباب والأقرباء، وربما العزلة التي يجد الإنسان فيها نفسه مجبراً على تجنب المجتمع برمته..

عزلة قد تدفعه إلى الجنون.. والإنسان كائن اجتماعي لايمكنه أن يعيش وحده، مهما كانت الظروف.. خلق الله تعالى البشر في مجتمع واحد متعاون، تفرع وتكاثر، وظل الإنسان كائناً اجتماعياً يتجنب العزلة..

الإنسان كتلة من المشاعر المرهفة الجياشة، قد تطفو هذه المشاعر عند من يمتلكون الحس وقد لاترى أو لاتلحظ عند من لايهتمون بنزعتهم الإنسانية، فيتحول مثل هؤلاء إلى كائنات حقودة أنانية تنتشر كثيراً في عالمنا المعاصر.

كما تؤثر في حياة الناس ومستقبلهم، وتسبب لهم المتاعب والكوارث أحياناً، لانعدام إحساسهم بالآخرين على حساب الإحساس بالعظمة الفارغة.. وهو مرض يستشري بين الناس المتنفذين في هذا العصر.

وعندما ييأس الإنسان تصبح فكرة الموت عنده مطلوبة، رغم أنه يكون في سن مبكرة على الموت..

أما الإنسان المؤمن، المرتبط بوطن أو بأرض فإنه لايخاف الموت في الدفاع عن عقيدته أو مبدئه..

وكثيراً مايصل مثل هؤلاء الناس إلى مراتب عليا من التضحية بالنفس في سبيل المجموع، ويؤثرون على عدوهم بعملياتهم الاستشهادية مهما كان العدو معتزاً بقوته وتقنياته المتطورة..

وقلق الموت يشعر به المسن وهو يدب دبيباً نحو الضعف ومرض الشيخوخة، منحدراً نحو النهاية المحتومة..

ونادراً ما يعاني الشاب أو الرجل متوسط العمر من مثل هذا القلق؛ لأن الحياة بالنسبة إلى كليهما مفتوحة على سنوات أخرى من المستقبل الفاعل..

أما الذين يتعرضون لكوارث تصيب أحباءهم أو أقرباءهم بالجملة، فالموت لايعني خوفاً بالنسبة إليهم؛ إنهم في مرحلة يأس من حياة لم تعطهم سوى الحزن والفجيعة.. والإيمان عندها يكون هو الملاذ الحقيقي الآمن.. الإيمان بالله سبحانه وتعالى.. الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى..

ربما كان الحلم منفذاً إلى عوالم غريبة ليس لها علاقة بعالمنا، وربما كان هو المنفذ الوحيد على تلك العوالم.

فالحلم ينقل الإنسان إلى الماضي أو الحاضر أو حتى المستقبل البعيد.. ورغم تمازج الحلم مع الواقع فإن عالمه يختلف عن الواقع..

خلال أعشار الثانية قد ينتقل بك الحلم لتعيش حدثاً ربما تزيد مدته عن الساعات. فالحلم يقفز فوق الزمن العادي بسرعة مذهلة..

والحلم قد يغني الخيال بتصورات عن عوالم لم يعرفها الإنسان من قبل، وهو قد ينقله إلى جوار الفضاء مخترقاً المسافات والسدم، ليحط الرحال في كوكب لم يكتشفه الإنسان، ولايعرف عنه شيئاً..

وبالحلم تحقق للإنسان هذا التطور الفريد الذي يشهده حالياً؛ ولولا الحلم والخيال ماتحقق اختراع أو نظرية جديدة..

فكل الخيالات ترتبط بالنشاط الفكري الذي هو نتاج العقل البشري، الذي وهبه الله سبحانه وتعالى للإنسان، ولولا الخيال ماجنح الإنسان نحو التطور والتقدم..

وأحياناً تتداخل الخيالات والأحلام، فتعطي تصورات مدهشة عن عوالم يسعى الإنسان لكشفها..

الحراك العربي وجدارية القدس..!!

مأمون شحادة

تمر الذكرى الخامسة والأربعين على احتلال القدس، ومازالت المدينة تواجه مزيداً من التهويد والإقصاء تزامناً مع الحراك العربي الذي يعجز عن نصرة أولى القبلتين ولو بكلمة واحدة.

أخذت أتجول في شوارع البلدة القديمة، التي تسكن قلب أسوار المدينة المقدسة، ومازال "متن" الحديث و"لغة" المد والجزر يبحثان عن إجابة ضائعة بين ممرات الخطاب والتجمعات الميدانية.

بعيداً عن مراقبة دوريات الاحتلال، توقفت أمام لوحة مستطيلة عرضها كعرض الحدود العربية، وطولها أطول من مدى نظرات أهل القدس لتلك الحدود، وكأن متن الرواية وعلامات ترقيمها تقف بجانب أطراف العبارات التي تؤدلج شوارع أمة الضاد حراكاً.

اللافت أن الحاج محمد الهشلمون مازال يجلس بجانب تلك اللوحة التي تتزين بصورة الصخرة؛ وتتذيل بكلمة يورشاليم؛ حيث سألته عن مكنون هذا اليوم الذي يصادف الذكرى السنوية لاغتصاب الجدارية المقدسة، رد الهشلمون قائلاً: يا ولدي إن زمن العروبة مشابه لرواية الراعي مارسياس، وهو يسلخ انتصاراً لنايه الحزين، وكما أنت ترى فان القدس حزينة وأسيرة في هذا اليوم الممتد على مدى 45 عاماً، وإذا أمعنت النظر جيداً فإنك لن ترى سوى المنظر ذاته، القديم يتجدد لقدمه، والجديد أسير ماضيه، والشبه بينهما أن العرب مازالوا يُجَمِلون مقدمة الخطاب وخاتمته.

ولكن! يا شيخ، ألا تعتقد أن الحراك العربي وضع القدس مرة أخرى على طاولة المسؤول العربي؟ الهشلمون ضاحكاً!! عن أي طاولة مستديرة تتحدث؟! وعن أي مسؤول عربي تبحث؟! يا بني ان تهويد القدس علمنا أن الجلاد الإسرائيلي يخاف أسوار المدينة أكثر من اصحاب الطاولات المستديرة، وأن سرعة التهويد أسرع من قرارات طاولاتهم، فعن أي بوصلة تتكلم؛ وقد ضاع مؤشر الحراك العربي في زحمة صناديق الاقتراع!!

يا ولدي، إن الحياة مدرسة، ولكن الزمن هو أكبر معلم، وقد علمتنا التجارب أن العروبة ضاعت، والقدس تجرعت الموت في زمن الخطابات العربية، أفبعد ذلك تقول لي كما قال درويش: سجل أنا عربي!!!!

يا ولدي صحيح أن أمة الضاد تنتمي ضمن الإطار النظري لعناصر القومية العربية، إلا أن إطارها التطبيقي يفتقد الثقافة المشتركة، ويحاول الالتفاف على التاريخ والمصير المشترك، ووأد اللغة العربية تحت مسميات جلد الذات والفئوية والطائفية والقبلية، أو كما شئتم أطلقوا عليها من المسميات!!

الافتتاحية

حسين جمعة

أين العقلاء من الأزمة السورية؟!

نزفت الأقلام حبر جراحها في تناول الأزمة السورية التي مضى عليها سنة ونصف؛ وراحت عقول أصحابها تتبارى في تحليلها مستعيدة أسبابها وتطوراتها واقفة عند لحظات التوتر والقلق؛ والخوف من القادم المرعب... واختلط الحابل بالنابل؛ والحرية بالفوضى والبناء بالهدم والخراب؛ والآلام والحسرة بالأمل والترقب. وأرخى الليل سدوفه على جنبات الوطن حين انحرفت السفينة عن جادتها، فلم تعد تقارب الوصول إلى شاطئ الأمان؛ إذ اصطدمت بكل الشخصيات المنسحبة من الحياة والحواجز الغريبة القاتلة والقادمة من وراء البحار. وضاعت الحقوق المدنية والقيم الخلقية في صميم دوامة التوحش التي صممت مسبقاً وتحكمت بها الغرائز والشهوات إذ غاب عنها العقل السوري الحضاري الذي نعتز به ونتفاخر إذا دعا داعي التفاخر والمناظرة والمعارضة...

وما كانت دوامة القتل والدمار والخراب لتتعاظم شرورها لولا هيجان النفوس الحمقاء؛ وانفلات المواطنة من عقالها الذي جُدلت خيوطه من ماهية العيش المشترك؛ ومنظومة قيم التآخي والتسامح... فباسم الوطنية والحرية، والعدالة الاجتماعية قُتلت كل معاني المحبة والإخاء، وهتكت مبادئ الدولة السورية وكرامة أبنائها... وباسم التقاطعات التي تستشرف مآلات المستقبل المنشود طفقت أفعى الفتنة والبغضاء تنفث سمومها في الأجساد ما جعلها تفتت لحمها، وتبري عظامها، ولاسيما حين تتلوى على حد التلاعب بالأفكار الشيطانية لتنال من بنية المجتمع السوري ووحدته حتى صار الضحية دون غيره.. فالشعب السوري ابتلي بأصحاب مشاريع الإلحاق والإلغاء والتبعية لأجندات مشبوهة في الداخل والخارج، وهم الذين رفضوا أي دعوة خيّرة للأم الجراح النازفة؛ والجلوس إلى طاولة حوار تجمع الأطياف السورية لحل أزمتهم القاتلة...

ونرى أن أي صراع مهما طال أو اشتدت مصائبه فلا بد للجميع من العمل على التلاقي في نقاط التوافق من خلال الاعتراف بالآخر في صميم التكامل ووحدة التراب الوطني وسيادته؛ والحقوق المنبثقة من دولة المواطنة... فنحن نريد ثقافة وطنية لا تقتل الوطن باسم الحفاظ عليه؛ ولا تهدم الدولة السورية باسم حرية التعبير والرأي والاعتقاد... نريد وطناً تنفتح عقول أبنائه على الفعل المشبع بالأهداف النبيلة التي تؤمن ـ حقاً ـ بحرمة سفك الدم السوري؛ فكل دم سوري على أي سوري حرام؛ وعلى كل واحد منهم التبرؤ من أي مرتزق يتاجر بالحروب وبالأفكار المريضة العفنة؛ ونشر الخوف والرعب والقتل والدمار والخراب... فحَرام على الجميع أن يشحذوا سكاكينهم بمبرد الحقد والكراهية والتشفي والثأر، فالشعب السوري وحده من يدفع ضريبة ذلك، وهو المعلق في فضاء الموت أما الدولة السورية فمُعلقة على المجهول، وقد أضحت سيادتها هدفاً لصناع الإرهاب وخفافيش الليل... ولم يعد تاريخها الحضاري أو دورها القومي يشفعان لها... فكل ما يتحرك على الأرض يجب أن يوضع في ميزان مشروع الشرق الأوسط الجديد أو (الكبير) وأن يسخّر لخدمة الأهداف الصهيو ـ أمريكية، وهيمنة الغرب وتسلطه على مقدرات الوطن العربي الكبير... وهكذا فإن عامة أبناء الوطن حاصرتهم الهموم، بمثل ما حاصرهم العَجْز بعد أن أعيتهم الحيلة في الخلاص...

ولذلك كله نتساءل: أين هم أولئك العقلاء الذين يطردون الوهم من ذواتهم ويرجعون إلى حقيقة المصير الوجودي الذي يفرض عليهم نبذ كل عناصر الفرقة والاحتراب؟! وهل يمكنهم التخلص من الوهم الكاذب الذي صوّر لهم أحلاماً خادعة لتخريب ما بناه الآباء والأجداد؛ قائلين لهم: هل ستبقى صرختنا هذه صرخة محزونة نرسلها في صحراء بلقع؟!

واجبُ الأدباء الأخلاقي

غالب خلايلي

يترتب على الأدباء باستمرار واجب أخلاقي كبير، وخاصة عندما تتعرض الأرواح البشرية للخطر، والقيم الروحية للتدهور، وإلا يجب نفي صفة الأدب عنهم.

أقـرأ كتباً وروايــاتٍ عربيةً أو مترجمةً إلى العربية، فأفاجأ أن فيها من العنفِ والمُمارساتِ الجنسية البشعةِ والشاذة الكثير، ويدافعُ الكتّابُ عن كتابتِهم بأنّ في المجتمع مثلَ هذه النماذج السيئة والمنحرفة. ونحن لا نخالفهم في ذلك؛ بل نعترف بأهمية غريزة الجنس في الحياة، تلك التي يَنشُدُها وينشَدُّ إليها أغلبُ الناس، لكنها تبقى في النهاية غريزةً لا عقلاً مفكّراً، وهنا مربط الفرس، وهو أن الغرائزَ عموماً تحتاجُ إلى تهذيب، فالجائعُ مثلاً لا يأكل مثل الوحش؛ بل يتعلّم كيف يسيطرُ على اندفاعه، وكـذا الجنسُ في السرير، فكيف يكون في الأدبِ إذاً، إن لم يحمل من صفاتِه شيئاً؟

يقول الواقع: إننا لم نعد نقرأ أدباً في كثير من الأحيان، بل نقرأ رذيلةً مغلفةً بالأدب؛ فالأوصاف الجنسية لا تعبّر هنا عن العاطفة السامية ألا وهي الحبّ، بل تنشدُ الإثارةَ الرخيصةَ، وهذا ما قرأتُه لأحد الكتّاب الفائزين بجائزة نوبل، الذي شَتَمَ بلده، وأظهر لنا الفنانين فيه وحوشاً جنسيةً ضاريةً. وقرأتُ بعده روايةً مثيرةً لكاتبٍ مبتدئٍ ضمّنها من الخيال الجنسيّ المريض الكثير، وملأها بالعباراتِ الفاحشة، والأحـداثِ المسيئةِ إلى مجتمعنا المحافظ في الثمانينيات وما قبلها من القرن المنصرم، ناهيكَ عن عددٍ كبيرٍ جداً من الأخطاء اللغوية، التي يبدو أن هذه أيضاً لم تعد تشغل بال نقّاد كثيرين، ولم يبقَ سوى أن تُكتبَ عربيتُنا بلهجةٍ عاميةٍ وأحرف لاتينية!.

إن الشذوذَ لا يشكّل قاعدة، وحينما يبرزهُ (الأدبُ) مـراتٍ متعدّدة، وبطريقةٍ بعيدةٍ عن الأدب، فإنه يوحي لنا بأن مجتمعاتنا مريضة، فيما كتّابُها هم المرضى.

لو أنّ أي كاتبٍ وَصَفَ لنا بدقةٍ كيفية الوصال بين ثورٍ وبقرة، أو بين حمارٍ وأتان، لما اختلف الأمر شيئاً، ولَجذب كثيراً من القرّاء؛ فأيّ جديدٍ يرجوه الكتّابُ من وصف اللقاء الحميم بين رجلٍ وامرأة بعبارات سوقيّة؟ وأيـة إضافة يضيفونها إلى المحطات الخليعة؟؟

ومن الصدف أن الرواية الأولى نوقشت في مجتمع جامعي هجين مغرض، فأيّد كاتبَ نوبل في مسعاه، فيما نوقشت الرواية الأخـرى في مجتمعٍ أدبيّ مصغّر، فامتدحت الرواية بناء على قاعدة (لا نريد أن نزعّل فلاناً)، وقاعدة (ما من أحدٍ يقرأ، فما الضيرُ في مدح عملٍ هزيل؟)، والسؤال المهمّ: أين هو الأدب والأديب إذاً؟!.

* * *

كنت أراقـب الشاشة الصغيرة ذات مساء، وصادف أن اختلف رجلان، مخرجُ تلفزيزني بدا منفتحاً، وباحثٌ بدا متشدّداً، ضاغطاً في أقواله، لا يتيح فرصةً لمحاوره، وكان موضوع الخلاف هو الدراما المتلفزة المثيرة، التي تتحدّث عن عيوبٍ اجتماعية مهمّة مثل البغاء، وأمراض خطيرة مثل الإيدز. رأى المخرجُ أن علينا أن نغوص عميقاً في مشاكلنا حتى نستطيع حلّها، وأنا أؤيد ذلك، ورأى الباحث أن التوعيةَ الطبيةَ والوعظَ الاجتماعي كافيان، وليس من الضروري نشرُ غسيلنا الوسخ، ولا تعمّد الإثـارة (الجنسية خاصة)، كي نعالج أمراضنا، وأنا أؤيد هذا الاتجاه أيضاً، فمن هو المخطئ إذاً؟

هذا يعتمد على الأسلوب والحوار والإخراج، ولأنني لم أكن مطلعاً على أعمال المخرج، فلا أستطيع أن أحكمَ على مدى دقّة مُحاورِه، ولكني من خلال قراءاتي واطلاعي أرى أن بعضَ الطروح فجّة، وأن التركيزَ على بعض الجرائم المريعة والحمْل السِّفاح (في خمسة مسلسلات على الأقل مما عـرض ذات رمـضـان)، يوحي بـأن مجتمعنا يرزح تحت وطأة هذه الأمراض، من دون أن نرى أثـراً للاختصاصيين التربويين والنفسيين والقانونيين في علاج مثل هذه الموضوعات.

* * *

إذا عُدنا إلى القواميس رأينا أن الأدب هو الظرفُ وحُسنُ التناول في القاموس المحيط للفيروزبادي. أما في المنجد فالأدب يعني الظرف والتهذيب، وأدُب كان ذا أدبٍ فهو (أديـب) أي متضلّع من اللغة والآداب، ومثقّف ثقافةً عالية. وتطلق الآداب على العلوم والمعارف عموماً، أو على المستظرَفِ منها فقط، وعِلْم الأدب علمٌ يُحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظاً وكتابة. أما في معجم أكسفورد وقاموس المورد للبعلبكي، فكلمة Literature تعني صناعة الأدب، وتعني أيضاً مجموع الآثار النثرية والشعرية المتميزة بجمال الشكل أو الصياغة والمعبّرة عن أفكارٍ ذات قيمةٍ باقية، وهكذا فالأدبُ تعبيرٌ راقٍ عن الحياة، والأديب هو (الإنسان) الموهوبُ المتعلّمُ المثقّفُ الظريفُ المهذّبُ القادرُ بموهبته و(علمه) على قـراءة ظواهرِ الحياة واستخلاص العبر منها، بأسلوبٍ جميل يَشعر معه القـارئ بالفائدة والمتعة والجمال، فأين هم بعض كتابنا من هذا التعريف؟؟؟

* * *

أوضـح الأديــب حنّا عبّود في بحثه القيّم (القانون الأساسي للأدب) أن للأدب قانوناً هو صناعة السموّ، وأن السمةَ الأدبية تتراخى كلّما ابتعدَ الأديبُ عن هذا الاتّجاه، وعلى هذا لا يجوز أن يؤبّد ما يقرّب الإنسان من الواقع المرفوض، بل عليه أن يعمل على الارتفاع من «الواقعية» إلى «الإنسانية المثالية»، وهذه مشكلة كبيرة كانت الغلبة فيها للواقعية على القيم الأدبية في كل العصور تقريباً.

ويبين الكاتب أن الظروفَ، وإن كانت أقوى من القانون الأدبي، إلا أنها من خلق الإنسان، وأن الغباءَ البشريّ هو الذي ينسج دائماً الشرنقةَ التي تمنعه من السموّ. إن قانونَ الأدب لا يتعلق بارتقاء النظام الاجتماعي، ففي الأنظمة المتقدمة آدابٌ تدعو إلى التحلّل من كل شيء، وحتى إلى الإباحية تحت اسم الحرية، ولهذا فهي انفلات وليست اختياراً بين المُمْكِنات لأنها تبتعد عن الشرط الإنساني، علماً أن الحريةَ الفرديةَ المحضَ لا وجودَ لها عملياً في تاريخ البشرية. إن الأدب مؤسّسةٌ قائمةٌ بذاتها تجعل الظروف مادةً للأدب لا هدفاً له، والأدب مضطر إلى التعامل مع الظروف بصفتها مادةً لا هدفاً، فيطلعنا على التشوّهات القائمة في المجتمع. إن العيوب البشرية المشينة تربـةٌ خصبة يتغذى منها الأدب، ليدينها لا ليؤبدها. ويبين عبود أن المؤسسة الأدبية أقوى من أن يخالفها الأديب، والأدب يضع أسس العلاقة، وهذه الأسس هي الحقّ والخير والجمال بصفتها مثلاً عليا، والشجاعة والحكمة والعدل والعفة بوصفها صفاتٍ يجب أن تتوافر للدخول في صناعة المثل، ولكن الأدب لا يراهن على التزام الناس بها. قد تتغير الظروف، ويصل الناس إلى أقصى الكواكب، لكن البؤسَ يظلّ قائماً إن لم يأخذ الناس بالأسس. إن الإصلاح لا يبدأ بالتكنولوجيا، فالآلات خيولٌ بلا أعنة، هوجاء مدمرة، علينا أن نضع لها أعنةً، وهذه مهمة الأدب.

أما مسك الختام في حديث الأديـب عبود فهو أن الفضيلة تنشأ من الإنسان وحده، وهذا هو قانون الأدب، وعندما ننحرف عن القانون، فقد نكتب كلاماً جميلاً، ولكنه كلام متسيّب، وقد بدأ التسيب في الأدب يظهر بكثرة في هذه الأيام (الأسبوع الأدبي 2007/9/8).

* * *

بديهي إذاً أن نـقـول: الكتابة الرديئة لا تصنف (أدباً).

يقول الكاتب علي كنانة في مقاله (أدب رديء أم كتابة رديئة؟): «إنّ استخدام مفهوم (أدب) يعني الإقرار بالجودة، لأن الكتابة لا تُمسي أدباً إذا لم تتوافر عناصر الجودة. ومنذ هامَ العرب ولعاً في قرض الشعر، كان هناك تحت هذا السقف نوعان: شعر ونظم، ولم يخلد في الذاكرة الثقافية للأمة إلاّ ما كانَ شعراً، ويمكن القول إنّ النظمَ هو الطبقة الرديئة من الشعر، لأنه حاولَ محاكاة الشعر شكلياً دون أن يستطيع الإتيان بإشراقاته المنبعثة من (الروح المبدع) في اصطلاح غارثيا لوركا. إن الكتابة الرديئة هي الطبقة السفلى من طبقات الكلام، كما وردَ في جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، باب أصول الإنشاء، لمؤلفه أحمد الهاشمي» (موقع شبكة دهشة).

قد نرى الكتابة الرديئة في شتى الموضوعات والأصناف الأدبية، لكن أخطرها ما سماه الكاتب مصطفى عطية جمعة (أدب الجسد) والذي نشره مقالاً في جريدة القبس الكويتية، ويعني «أن يعبّرالأديب عما هو موجود وملموس وحسّي بالنسبة إليه، ومن هذا الحسّي جسدُه، هذا البناء العضوي الـذي نتعايش به ونتلذّذ بحواسه». وسبب الخطورة هنا ولغُ الناس لاسيما المراهقين بموضوع الجنس، وبـدلاً من أن يكتبَ بطريقة أدبية، يطرح بطريقةٍ سوقية، ما زلنا نذكر كتبَها المرميّة على قارعة الطرقات (البسطات)، فلا تشدّ سوى الأغرار.

ويرى الكاتب الساخر أوروك في كتابه (عصر الخبث) أن الانـحـدار الشديد الـذي تسير إليه المجتمعات الغربية بدأ بموجة الانفلات التي عمّت هـذه المجتمعات في ستينيات القرن الماضي، فيما أطلق عليه «ثورة الجنس» .. ويقول: ومنذ ذلك الحين ونحن نسير من سيئ إلى أسوأ».

* * *

إن هناك أمثلةً كثيرة في الآداب العالمية على التزامها الفضيلة، ومن ذلك شعر الانجليزي وليام ووردسويرث (1770-1850م)، وكتابات الفرنسي موليير (1622-1673م) الذي كانت مواضيعه تتعرض بروح ساخر إلى الحياة اليومية للناس، وقـام لأجل خدمة أعماله الكوميدية وتوصيل أفكاره إلى جمهور المشاهدين، بتوظيف كل أنواع الفكاهة ودرجاتها، من المقالب السخيفة وحتى المعالجة النفسية الأكثر تعقيداً، وقد هاجم في أعماله الرذيلة المتفشية في أوساط المجتمع، وكـان يقوم بخلق شخصية محورية تتوفر فيها هذه الصِفات، وتدور حولها أحداث القصّة، والطريف أن خصوم موليير وجهوا نقداً له بأن الحياة لا تماثل الأشخاص الذين يظهرون في أعماله الفنية فأجاب: أنا أختار، وإلا فإنني قادرٌ على إظهار مريضٍ يبصق، وطفلٍ يبوّل على المسرح. رفض موليير تجاوز الذوق الأدبي.

وفي الأدب العربي الكثير من شعر الغزل المهذّب العفيف، الذي لا يقول فاحشاً، ونذكر على سبيل المثال قول عنترة قبل حوالي 1600 عام:

ولقد ذكرتُك والرماح نواهـــلٌ
منّي وبيضُ الهند تقطرُ من دمي
فوددتُ تقبيلَ السيوفِ لأنها
لمعتْ كبارقِ ثغركِ المتبسّـــــمِ

وهذا البيت لجرير:

إن العيونَ التي في طَرْفِها حورٌ
قتلننـا ثم لا يحيـيـــنَ قتلانا
يصرعنَ ذا اللبّ حتى لا حراكَ به
وهنّ أضعفُ خلقِ الله إنسانا

* * *

أخيراً، ولو أنه لا تجوز مقارنة أية كتابةٍ بالقرآن الحكيم، أو بالحديث النبوي الشريف، إلا أنّ لنا في تلك المصادر خيرَ دليل على الأدب الإلهي والأدب النبوي، وعلى الفصاحة المطلقة، والبيان الذي لا يأتيه الباطل. لقد وردت القرآن الكريم آياتٌ كثيرة عن كيفية الخلق من نطفةٍ، ومن ماء مهين، وكان في الإشارة ما يكفي. وروى القرآن بأسلوب قصصيٍ ساحرٍ ما جرى مثلاً بين سيدنا يوسف عليه السلام وامرأة العزيز التي غرّرت به، وحاولت أن تستميله جنسياً، لكن كلامَ الله عز وجل جاء في قمة الروعة والحكمة: (وَرَاوَدَتْـهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ* وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) يوسف:23-24 ، (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) يوسف:30.

صحيح أن القرآن الكريم ليس كتاباً في الأدب ولا في العلم، لكنه منهلٌ للحكمة والأدب والعلم، وصـراط مستقيم للأخلاق التي يجب أن يكون عليها الناس.

جاء أيضاً في الحديث الشريف ما رواه الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعّان ولا الفاحش ولا البذيء».. وهذا منهلٌ حكيمٌ آخر، ليس القصدُ منه قلبَ المسألة إلى قضيّة دينية، علماً أن الدينَ نفسَه غاص عميقاً في تفاصيل كل الأمور الجنسيّة، إنما في المقام المناسب وباللغة المناسبة.

أفلا يكون الأديب بمثل سموّ هذا الأدب؟

أكـاد أومـن أن بـعـض الـكـتـاب والأدبـاء، ومـؤسـسـات النشر الكبيرة التي تقبل نشر الكتابات الهابطة (ناهيك عن المحطات الفضائية السفيهة المبتذلة) أصحاب أذرع طويلة في التآمر على الإنسان العربي، والإنسان عموماً، وفي تأجيج غرائزه، وأعتقد أن كلامي اليوم لم يعد بحاجة إلى برهان.

البُطينُ الشاعر

أحمد علي محمد

أبو نواس

الشّعر إزارٌ يتزيا به الشاعر فَتُحتجب معايبه، وتُستترُ هفواته، ولهذه العلة قُبل منه ما لا يُقبل من غيره، وجاز له ما لا يجوز لغيره، وليس الأمر مقصوراً على العرب على أي حال، بل يكاد يجري هذا الأمر على الشعوب عامة، فقد قبل الفرنسيون رامبو شاعراً على علاته، وغير الفرنسيين قبلوا من شعرائهم ما لا يمكن عدُّهُ، حتى بات من المعتاد القول : إن ما يقدح في شخص الشاعر هو الشعر نفسه، فإن سلم الشعر من العيب شمل الإحسان صاحبه، وليس ذلك فحسب؛ بل إن الشعر صناعة كثيراً ما تستوي على سوقها بمعزل عن الأخلاق، وتشتد سواعدها بمنأى عن القيم، وأكثر من ذلك فقد تآخى الشعر والشر على لسان الأصمعي فأطلق قولته الشهيرة :» الشعر نكد بابه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف».(الشعر والشعراء لابن قتيبة ص:68/1)

إنّ سيرة الشاعر ليست بشيء إذن، إنْ مَهَرَ في صناعته، وهذا قول يستعيد سحره وبريقه في الأزمنة الحديثة، وكان البنيويون في الغرب قد أسسوا كثيراً من مقولاتهم النقدية على إقصاء الشاعر وسيرته من الحكم النقدي، والأهم من ذلك أن العرب تسامحت مع الشعراء في هذه المسألة، فغضت الطرف عن مثالب الشاعر ومعايبه، حتى أوشك نظرهم إلى الشعر يستحوذ كامل اهتمامهم، وذلك لإدراكهم قيمة الفن، وتبصرهم في مواضع الجودة فيه، ومن نوادر هذه المسألة التي نتكلم عليها شاعر عرف بالبُطين احتفلت بشعره المصادر، وغفلت في الوقت نفسه عن تفصيلات سيرته، حتى لا يجد الباحث من تلك السيرة سوى شذرات مبثوثة في كتابين؛ أحدهما كتاب « طبقات الشعراء» لابن المعتز، والآخر كتاب « الورقة « لابن نوفل، وتلك الإشـارات التي انطوى عليها الكتابان ضئيلة لا تستطيع أن توضح لنا جوانب يحتاج إليها الممعن في البحث والـدرس، وعلى كل حال فإن شخصية البُطين في هذين الكتابين ليست واضحة تمام الوضوح، فهو عند ابن نوفل في « الورقة « البطين البجلي، يكنى بأبي الوليد، ولد في حمص، وكان التقى أبا نواس الشاعر المشهور في حمص في أثناء مرور أبي نواس بها متجهاً إلى مصر لمدح الخصيب (الورقة لابن نوفل ص:75).

وللبطين عند ابن المعتز صورة في غاية الهزء، وفي نهاية الإضحاك؛ إذ جمع فيها القبح كله، يقول ابن المعتز:» كان طول البطين اثني عشر شبراً من أشبار الناس، ولم يُرَ أحدٌ في زمانه أطول منه، فكان يرعب من يراه، وكان قبيح الوجه، فكان إذا أقبل لا يشك من يراه أنه شيطان، وكان مع ذلك فاسقاً معلناً بفسقه، وكان أحمق خلق الله «. (طبقات الشعراء لابن المعتز ص:211)

ومن نـوادر البطين على نحو ما يـورد ابن المعتز أنه عشق امرأة يهودية، فطلبها للزواج، فرفضه قومها لدينه، فما كان منه إلا أن اعتنق اليهودية، حتى إذا تزوج بها عاد إلى إسلامه، وفي ذلك دلالة على فسقه وتهتكه، ومع ذلك فقد كان شاعراً مذكوراً في الشعراء البارزين من ذوي الصناعة الرصينة في الشعر، إذ ذهب في أغلب شعره مذهب الأعراب من حيث قوة النسج وروعة البناء، يقول في معرض الرثاء:

رمينا خمسةً ورموا نُعيماً
وكانَ الموتُ للفتيان زينا
فلمّا لم ندعْ ندباً ورمحاً
بركنا للكلاكل فارتمينا
لعمر الباكيات على نُعيم
لقد عزت رزيتُهُ علينا
فلا تبعدْ نُعيمُ فكلّ حي
سيلقى من صروف الدهر حينا

ثم جمع إلى ذلك رقة متناهية ولاسيما في غزله من مثل قوله:

أحببتُ قلبي لمّا أحبكمُ
وصار أمري لأمره تبعا
شيعتُ قلبي إلى مشيئته
مُتَّبِعاً في الهوى ومُتبَعَا
وربَّ قلبٍ يقولُ صاحبُهُ
تعساً لقلبي فبئس ما صنعا
ما هبت الريح من بلادكم
إلا تقطّعتُ إثركم قطعا

ومن طرائف القول في سيرة البطين أنه كانت تتقاذفه ألسنة الشعراء، فما ذُمَّ شاعر كمذمة البطين بطريق من هجاه، وليس ذلك فحسب؛ بل ما بقي في المصادر من أهاجي الناس فيه يكاد يعدل ما بقي من شعره، وكان أوجع الهجاء الذي ناله من منافسيه ما قاله فيه أبو خالد الغنوي:

وإن زماناً أنطق الشعر مثله
وأدخله في عدنا لعجيب

في سيرة البطين على إيجازها في المصادر نقرأ شيئاً من نوادر شعر العرب، ونقرأ شيئاً من ثقافة العرب إزاء الشعر والشعراء، وهي سيرة لا يكاد يستوفي الكلام عليها مقال، ولا كتاب، لأن الشعر عند العرب ديوان شامل وسجل حافل، جمع بين أطوائه تلك السير النادرة التي يمثل البطين جـزءاً منها، وهي مسألة تشير إلى أن العرب تسامحت مع شعرائها تسامحاً يدل على أنها قبلت منهم الفن بمعزل عن سلوكهم، وهذا لعمري دأب أسهم في تطور عقلها.

مراجعة البلاغة.. الإعجاز والإيجاز .. أصل من أصول علم البلاغة

عبد الكريم محمد حسين

بعد قراءة مطولة في كتب البلاغة، جَعلتُ أنفض يَدَيَّ من أجزائها وأوراقها، وأحلق كالطيور في فضائها، وقد وقفت مطولاً على جذر أساسي من جذور علم البلاغة هو إعجاز القرآن في إيجازه، وقد قيل: البلاغة الإيجاز، فهذا أصل يجعل إعجاز القرآن يتجلى في إيجازه، وأريد في هذه المقالة إثارة مشكلة القبول بهذا الأصل، لا على شك يعتريني في إعجاز القرآن لكن ذلك أمر يتصل بأسباب الإعجاز، وهي ليست وحياً يوحى لكنها اجتهادات البشر، والاجتهاد البشري مشوب بقصور الحواس والبصيرة والفطنة بين الناس لأنهم متفاوتون بها كما يرى إخوان الصفاء وخلان الوفاء.فالأمر يتصل بدراسة شرط أو مُسَلَّمةٍ لا يجوز مناقشتها؛ لأنها أصل بنيان بني عليه هرم البلاغة العربية.. وتخطي هذا الأصل لغرض إعادة النظر في صلاحيته للبناء، وفي مراجعته محاولة ترميم أو إلغاء هذا الشرط لعدم طرديته أو شموله، فإن صح على بعض أجزاء القرآن فربما سقط مكباً على وجهه دون بعضها الآخر.

المناسبة:

لا ريب في أن هذه الخاطرة العلمية نشأت من مناسبة أثارت شرارة الفكرة في خاطري، وكانت بمناسبة مراجعة كتاب الإعجاز والإيجاز لأبي منصور الثعالبي(350-429هـ)، فقد قسم الثعالبي كتابه المذكور أبواباً، فبابه الأول في بعض ما نطق به القرآن من الكلام الموجز المعجز، والباب الثاني جوامع الكلم عند النبي صلى الله عليه وسلم، والباب الثالث فيما صدر عن الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين، والباب الرابع فيما جاء منها عن ملوك الجاهلية...فملح الظرفاء...

ومن هنا نشأ التساؤل المر: إذا كان الإعجاز محصوراً في الإيجاز، فإن الإيجاز كما توزعت أبواب الكتاب واقع في القرآن وكلام الرسول والصحابة وملوك الجاهلية من الفرس وغيرهم..وكل هؤلاء قد جاء الكاتب لهم بكلام موجز معجزٍ سواه عن الإتيان بمثله، من دون تفريق بين إيجاز وإيجاز، وإعجاز وإعجاز، وعلى ذلك صرت ترى على الشابكة إعجاز امرئ القيس، وربما تقرأ غداً إعجاز نزار قباني، وإعجاز أدونيس..وإعجاز الرواية العامية والرواية الفصيحة، وهاتي يَدَكِ يا مليحة..فالمسألة تحتاج إلى تحرير بغض النظر عن قائل النص القرآني والنبوي والبشري..إن التماس الإعجاز من وجه واحد لا يقع على القرآن كله يعد قصوراً في التفكير عند بناء أصول علم البلاغة، وهو شيء آخر غير بلاغة النص نفسه؛ لأنه بحث في التماس علة الإعجاز بمصطلحات تسمى مصطلحات علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، لعل تشخيص المشكلة صار قريباً من اليد، وسيأتي ذكر أمثلة للإعجاز من كتاب الثعالبي وتعليقه عليها فيما يأتي، ويقتصر المقال على نص من القرآن وآخر من كلام الإنسان، وفي المناقشة يمكن تبين وجوه العلل في تلك الأحكام..

المعجز الوجيز من كلام الله العزيز:

في هذه الوجيزة نسوق القول من مصدر رباني ونعالجه بالتفكر أو التدبر أو الفهم والنقد وآخر يشري من كلام ملوك الجاهلية. أما النص فقول الثعالبي: ((من أراد أن يعرف جوامع الكلم، ويتنبه على فضل الإعجاز والاختصار، ويحيط ببلاغة الإيماء، ويفطن لكفاية الإيجاز؛ فليتدبر القرآن وليتأمل علوه على سائر الكلام، فمن ذلك قوله عزّ ذكره: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا)[سورة فصلت:30] (استقاموا) كلمة واحدة تفصح عن الطاعات كلها في الائتمار والانزجار. وذلك لو أن إنساناً أطاع الله سبحانه مائة سنة ثم سرق حبة واحدة لخرج بسرقتها عن حد الاستقامة))[الإعجاز والإيجاز، الثعالبي، بيروت-دار الرائد العربي، ط2، 1403هـ-1983م: 10] فالمؤلف جعل لفظ (استقاموا) وفيه عموم من جهات وجوه الاستقامة في اتباع الأوامر الربانية، واجتناب النواهي، وجعل اللفظ (استقاموا) معجزاً في الآية، لشموله الأوامر والنواهي. ولو جرد اللفظ (استقاموا) من الآية ما أدى هذا المعنى؛ بل كانت الاستقامة للطريق ثم لأهله. وليس في الإيجاز نفسه معنى الإعجاز، ذلك أن الإيجاز أسلوب عربي يقع في كلام العرب شعراً ونثراً وأمثالاً وتشبيهات..الخ؛ إنما الدهشة في اختيار اللفظ لموقعه من الآية، فقد ذكر مجموعة من الناس قالوا بألسنتهم(ربنا الله) فكان ذلك إعلاناً للعقيدة، وصَدَّقوا هذا الإعلان بالاستقامة على موجباته، فكان ارتباطاً بين القول والعمل، وكانت استقامتهم تربية لهم مشتقة من مناسبة (ربنا) المربي والمنشئ للاستقامة منهجه وإرادته من عباده ولهم. فالإعجاز ليس في الإيجاز بل جاء من الاختيار والمناسبة بين اللفظ وما تقدمه وما أوجبه.

المعجز من كلام ملوك الجاهلية:

أول كلامه عبارة مترجمة عن ملك من ملوك العجم لا يأمن المرء أن المترجم صاغها بلسان العرب وعلى نسقهم في التعبير فجاءت حكمة شافية؛ إذ يقول على لسان أفريدون: ((الأيام صحائف أعمالكم فخلدوها أحسن أعمالكم)) [الإعجاز والإيجاز: 38] فالإيجاز نابع من التعبير بالتشبيه والاستعارة. أما التشبيه فقد شبه الأيام بالصحائف (لاحظ المبتدأ «الأيام» المشبه، والخبر صحائفُ المشبه به) وقد حذف أداة التشبيه ليجعله مؤكداً، وحذف وجه الشبه ليجعله مجملاً، وباجتماع هاتين الجهتين يصير التشبيه بليغاً، في إجماله إبهام لوجه الشبه وحرية للتخيل يردها العرف في مثل هذا التعبير. والاستعارة في قوله: (صحائف أعمالكم) فجعل الأعمال كتباً فحذف المشبه به(الكتاب) وأبقى شيئاً من لوازمه(الصحائف) وفي الحذف والتقدير مساحة نشأت من التشبيه والاستعارة، لكن الإيجاز ليس مقصوداً؛ بل القصد في التعبير عن المراد بصورتين: إحداهما قريبة التشبيه، والأخرى أبعد منها الاستعارة، وفي كل منهما صورة وتمثيل وتقريب نشأ منهما إيجاز.

فإن كان الإيجاز لا يؤلف سبباً للإعجاز؛ لأن آيات التشريع في القرآن لا تبنى على الإيجاز، ولأن قصص بني إسرائيل في القرآن لا تبنى على الإيجاز، فقد بطل القول بجعله سبباً كافياً لتفسير الإعجاز، ولعل الباقلاني في إعجاز القرآن قد جاء على طرف من ثوب هذه المشكلة عندما لاحظ أن الإعجاز قد يأتي في بعض شعر الشاعر، لكنه لا يقع فيه كله، كالقرآن، فاطراد مقولة الإعجاز في القرآن كله يجعل قليل كلام الناس المعجز آية على إمكانية إعجاز القرآن نفسه في كليته لا في كل جزء من أجزائه، وما يفسر جزءاً من الكلام، لا يصلح أن يكون أصلاً كلياً يقاس به الإعجاز.

مما تقدم يتبين شدة الحاجة إلى مراجعة أصول علم البلاغة كلها: بلاغة العرب في أشعارها وفي قرآنها، والبحث عن إحداث المزية التي أحدثها القرآن في اختيار أساليب العرب مما اكتشفه الإمام عبد القاهر الجرجاني، والافتنان في توجيهها وإحداث طاقات لم تكن فيها من قبل، فهل يفلح الأدباء المعاصرون في إحداث ثورة أخرى بتوظيف بلاغة العرب للتعبير عما أحدث في حياتنا من فكر أو اضطراب أو صخب؟!! فمراجعة البلاغة أمر لا مناص منه، وإلا فالموت يتهدد اللغة في بنائها وبلاغتها أصل كينونتها وجمالها..

الأوراق المبعثرة لدى الكاتبة هنادة الحصري

أحمد مروان الحفار

تعلن الأديبة السورية «هنادة الحصري» في كتابها «أوراقي المبعثرة» رفضها لواقع العلاقة الإنسانية الراهنة بين الرجل والمرأة في إطار الأسرة العربية، وتلتمس [تغيير المنظومة المتهرئة، وربما قلب كل المعادلات التي تحاول تشويه الفرد واستلابه في إطارها]. ولا تسلّم الكاتبة بحكم أنها [أنثى تصنع الحياة، وتمارس فعل الحياة]، بالظروف التي يفرضها المجتمع الشرقي على المرأة [ولا يعترف بعلاقة خضراء معها؛ بل ينظر إليها على أنها في إطار الأسرة خُلقت لإرضاء الرجل وإنجاب الأولاد].

وقد عرفت الأوساط الأدبية «هنادة الحصري» شاعرة من خلال أربعة دواوين صدرت لها تحت عناوين: (حروف وردية - بوح الياسمين الدمشقي - رنيم النرجس - تنويعات من مقام الورد)... ومن خلال نشاطاتها الأدبية والاجتماعية، ويبدو أن صدور كتابها (أوراق مبعثرة) لم يكن تحوّلاً من عالم الشعر إلى دنيا الكتابة النثرية، بحكم أن النثر أطوع على تناول الشؤون الاجتماعية، وإنما كانت محاولتها نشر خواطرها التي دوّنتها نثراً في أوراق مبعثرة تعكس رغبتها في تغيير صور العلاقات الإنسانية المتردّية في ظل المدينة الغربية الوافدة، التي أفرزتها العولمة، ونتائجها المدمرة لروح الإنسان العربي وقيمه الموروثة، وما يعاني من الضياع.

في هذه الخاطرات التي تربو على الأربعين في الكتاب، لا تبدو الكاتبة بعيدة عن عالم الشعر وجمالياته، فلم يكن قلمها قلم الباحث الاجتماعي الجاف؛ بل قلم الشاعرة الذي يورق في أسلوبها الحرف، وتسهم اللغة الجمالية بسحرها في التأثير بالقارئ وتكوين قناعاته، مثلما تسهم تجربتها الحياتية الواقعية التي مرّت بها زوجة وأماً وناشطة اجتماعية وامرأة مثقفة في منح آرائها الكثير من الصدق والواقعية والصراحة [كانت هذه المحطات وقفتي مع ذاتي، وبهذا الحرف قبضت على الحياة من جديد.. و امتلكت ما يكفي لمواصلة اخضرار النهار، وبهذا أكون قد نعمت بحصّة كافية من الضوء، لأنني ابنة هذا الذي عشته، وتفاعلت معه، وكتبته]، وتكتب أيضاً عن تجربتها الحياتية [نعم «أنا زوجة وأم أعطت للأمومة أجمل حقوقها، ولكن ديناميكية الحياة بداخلي واحتياجات حواسي الخمس أخرجتني من حالة السكون إلى حالة الدوران، وهكذا امتلكت الجرأة لتغيير مكاني].

تتناول الكاتبة علاقة المرأة بالرجل في مؤسسة الزواج من منطلق التماثل والتباين بين الرجل والمرأة، فثمة قاسم مشترك يجمع بينهما، وخصائص فارقة فرضتها الطبيعة، وحالة التماثل والتباين تواجهنا في كل مظاهر الكون، ثمة أنا، وثمة آخر، ولن تنجح العلاقة بين الرجل والأنثى إلاّ إذا لم تقم على تجاهل الفروق أو عدّها أمراً طبيعياً بين الجنسين؛ فأحدهما يكمل الآخر، وهي تأسف حين تجد التربية الأسرية في بعض الأوساط العربية والإسلامية تقوم على حامل معرفي موروث يميّز بين الذكر والأنثى... [تمييز الأخ عن أخته الأنثى، فيقدم الأب بإرادته حيناً أو بضغوط من زوجته وأبنائه حيناً آخر على تمليك أبنائه الذكور عقاراته كلها أو بعضها، وحجته أن الذكر منهم ملزم بتوفير نفقات الحياة، في حين أن المرأة غير مكلفة، وثانياً مخافة أن يذهب المال إلى الصهر الغريب، ففي هذا مضيعة للمال؛ حيث سيذهب إلى أسر غريبة..!].

أما تسويغاتهم فيرمونها على أحكام بحجة أنها تهب الذكر ضعف حظ الأنثى، وتعود إلى جملة من الأحاديث الشريفة التي تبرز عمق العنصر الأخلاقي في التصور الإسلامي الذي يدعو إلى رفع الظلم الواقع على الأنثى...

وترى الكاتبة أن التربية العربية الراهنة في المدرسة والأسرة، لا تلتزم بتوعية الناشئ من خلال الحوار؛ حيث تظهر بانحياز الأب غالباً إلى الأبناء الذكور من جنسه، والأم للانحياز إلى بناتها... فتقول: [ماذا عن أثر تمييز الأبناء على البنات من الناحية النفسية، ألا تستدعي نتائج هذا التمييز زرع روح الخلاف والضغينة بين الأخوة والأخوات؟ بين الأب وأزواج بناته؟!...].

وتحت عنوان (لم تختر المرأة قيدها بطواعية)، تقترح الكاتبة لحل مشكلة التفريق بين الجنسين إحداث تغيير نوعي في العملية التربوية ترتكز على

هنادي الحصري

ألفة المساواة بين الذكر والأنثى منذ الصغر.

وألفة هذه المساواة في جميع مراحل العمر، بالنأي عن إشعار الولد من الجنسين بالفروق القائمة بينهما، فالطبيعة لا تفرق بين ذكر وأنثى، والبيئة المكتسبة هي التي تكوّن صفات الطفل أياً كان نوعه، فالفطرة واحدة، وحين تعامل البنت كالولد في البيت، ويساوي الأبوان بينهما في الحقوق والواجبات، تصبح المساواة إرثاً معرفياً متجذراً في الفكر. ومع أن الإسلام رفع مكانة المرأة، فإن المجتمع هو الذي سلب عقلها وروحها، وعدّها جسداً، وبسبب قوانينه التي وضعها الذكور يتم كبت المرأة، فتضطر لإلغاء ذاتها وقتل تطلعاتها وتلتزم الطاعة والخضوع، وتستسلم لمصيرها، ولذلك نرى أن للأب وصاية على ابنته، وللأخ وصاية على أخته، وللزوج وصاية على زوجته، ألا يعني ذلك الإفراغ الكامل للمرأة من مسؤولياتها، فهي لا تملك في المجتمع الذكوري إلاّ جسدها، فكيف تقاوم وهي مهددة بالهجر أو الطلاق..؟

في هذا العصر الذي يرفع شعار المساواة بين الجنسين، لا نزال نشهد اضطهاد المرأة، وتبعيتها للرجل، والنظر إليها على أنها متاع جنسي.. إن تصحيح هذا الوضع هو مسؤولية اجتماعية عامة، والرجال يمثلون هذه المسؤولية لأنهم أصحاب القرار...

لقد باتت ظاهرة الطلاق في عصرنا تأخذ مداها، وبغض النظر عن دوافعه، فإنه يعدّ لوناً من التدمير للمؤسسة الاجتماعية الأساسية التي ترعى الأطفال وهي الأسرة، ولأنها كما تقول: [توضح الكم الهائل من الأنانية التي تتسم بها شخصية كل من الطرفين، فهي اختراق لمصائر الأطفال وتدميرها، فقليل من الوعي والتنازل يحقق الطرفان أمنية الأطفال].

وعلى الرغم من أن الشرائع السماوية أقرّت مبدأ الطلاق أو التفريق، فثمة نوع من الطلاق النفسي، يظل أخطر حين يؤثرون الاستمرار في حياتهم الزوجية لمصلحة الأطفال، لكنهم يمارسون فيما بينهما طلاقاً نفسياً له أثر أكبر على الأطفال من الطلاق الفعلي، فلا مسوّغ لاستمرار الزواج إذا كان خالياً من العلاقات الإنسانية الروحية بكل بهائها..

وتقترح الكاتبة علاجاً للمسألة بتعزيز عاطفة الحب بين الزوجين التي تفترُّ على مرّ الزمن [بالحب نعيد تأهيل القلب بلغة غير خشبية، فبالحب وحده يمكننا الدفاع عن هذا المركب العاطفي والوجداني الذي يربط الرجل والمرأة...

إن صدراً نرتمي عليه في وقت الأزمات يلملم شظايانا المبعثرة لهو ميناء الدفء، والفرح الحقيقي، يوصلنا إلى أن الحياة بلا حب غير ممكنة بل مستحيلة].

وتحت عنوان (لنغسل القلوب قبل الوجود) يستوقف الكاتبة درس في كتاب القراءة للصف الأول الابتدائي جاء فيه: أستيقظ باكراً، أرتّب سريري، أغسل وجهي صباحاً.. فيقفز إلى ذهنها خاطر لا تلتفت إليه

كتب التربية، وتقترح أن يُضاف لهذه التوجيهات التي تقدم للطفل (أغسل قلبي كل مساء) فينعكس هذا التوجيه إيجابياً على صحتهم النفسية، فيتعاملون مع كراهية الآخرين بالحب والغفران، لا لأننا لا نستطيع مواجهتهم بل تكمن مشكلتنا بأننا نعدّ أنفسنا على صواب والآخرين على خطأ، وهو مبعث الخلاف في كثير من الزيجات...

وتضيف في خاطرة عنوانها (كمشة ياسمين) فتقول: [إن كثيراً من العثرات تواجهنا ونحن لا ننفك نردد: الكل يهاجمنا، الكل لا يفهمنا، الكل مختلف معنا... وهو أمر طبيعي جداً نتيجة تفاعلنا داخل هذا الوجود الجمعي... وهو ما ينطبق على حال الزوج والزوجة في العلاقات الأسرية].

وترى الكاتبة أن الاختلاف في العلاقات ضروري لأنه يُغني حياتنا، ويفتح عوالمنا على نوافذ الآخر، فنغتني به ويغتني بنا، بتقريب وجهات النظر، فالمنارة المنزلية تشكو الوحدة.

ولكن كيف نقبل الآخر ورؤيته؟..

[نقبل الآخر لأننا نحترم أنفسنا، واحترامنا لأنفسنا يبرز أحقية الآخر باحترام نفسه]، ولو طبّق الزوجان هذا المبدأ لتمكّنا من حلّ كثير من مشكلاتهم العالقة..

وتحمّل الكاتبة في إطار العلاقة الزوجية مسؤولية أحد ركنيها، وهما الأب والأم ارتكاب جريمة القتل المعنوي للآخر بتصرفات يفرضها الجهل أو الطمع أو الرعونة.. تقول:

[ماذا عن الزوجة التي تدفع زوجها لقبول الرشوة من دون أن تدرك أن الحياة ليست ملابس وأدوات زينة وتحفاً ومجوهرات؛ بل هي أرحب وأجمل من كل هذه الوهاد الواسعة].

وتضيف: [إن أمثال هذه الزوجة في الحياة اليومية يتناسون أن القتل المعنوي استلاب قاتل لحياة مَنْ انخرط معنا في دروب مسافرة، وصافحناهم بالحرف الأبيض].

وتحت عنوان: (قساة دون أن ندري) تتناول الكاتبة ظاهرة العنف في شكل الاعتداء أو الضرب والأذى الجسدي، فترى أن أفضل تعريف لهذه الظاهرة يتمثل في أساليب التعبير عنها، - وهو ما يقع أحياناً بين الزوجين - وتستنتج أن غياب الحب بشتّى أنواعه في الحياة هو عنف معنوي أقسى من العنف الجسدي، وتشير البحوث إلى أنه كلما ازداد الرجل والمرأة نضوجاً وثقة بالنفس قلّ تحرجهما من إظهار الحب والحنان، وشتّى أنواع العواطف الكامنة، وحينها يعيان الحب بآفاقه الحقيقية وهي التبادل، فالتبادل صفة لازبة للحب، لأن الحب ليس عاطفة وانفعالاً وتأثراً وجدانياً، بل هو فعل تضحية وعطاء وتأكيد لثقة الإنسان بوجوده...

وتحت عنوان: (تعالوا نصنع الفرح) تشير الكاتبة إلى ذبول الفرح في حياتنا [وهو ما ينطبق على حياة الزوجين واستسلامهما للملل والرتابة والتشاؤم مع مرور الزمن]، وترى أن السعادة لا تُقاس بما نملك، لأن ما نملكه يمتلكنا، بل السعادة من صنع أفكارنا..

ومن مقومات الزواج المستقر لدى الكاتبة الشعور بالاطمئنان والأمان... تقول: [ليس صحيحاً ما يتردد أن المرأة فقط هي التي تبحث عن الأمان في نخيل رجل، فالطب النفسي يرى أن الرجل أيضاً في سعيه الدائم نحو الأنثى، يبحث عن زوجة وأسرة تعزّز الأنا لديه، فيشعر بأمان وثقة كبيرين].

وتتناول ظاهرة (الخواء الزوجي) الذي يسم حياة الإنسان المعاصرة، وفقدان طعم الحياة لديه في قلب فوضوية حياة العصر، وما قدّمته المدنية والعولمة من نزعة استهلاكية تروّج لها الإعلانات في وسائل الإعلام، حتى أصبحت حياة الأسرة لاهثة مرهونة بالأقسام الربوية، وتحوّل الأب إلى آلة لجلب المال، ويواليت الأبناء سعداء بهذا الرفاء، فهم يتذمرون؛ إذ يقارنون حالهم بحال زملائهم الذين يملكون فوراً الصرعات الوافدة والدائمة التبدل بما يقدم السوق، ما يدفع الأسرة إلى أن تنفق أكثر مما تدخر، فيلجأ الفرد إلى الغش والسرقة والرشوة، وبهذا نكون قد خسرنا أرواحنا وربحنا القشور، ولم يقدم لنا التسوق سوى مزيد من الخواء الروحي والركض اللاهث والارتهان...

وتطمح المجتمعات العربية اليوم إلى ديمقراطية ليبرالية تعلي حقوق الإنسان العالمية مشرعة لها بصيحات عنترية، وتسوّغ مقولة (والدية الذات)؛ أي حرية الأجيال في الاعتماد على ذاتها في صنع قيمها، والثورة على الأطر الاجتماعية التي تقيدها [منذ طفولتي وأنا أسيرة خطاب مجتمعي معين.. افعلي كذا... البسي كذا ... تصرفي..]. لعل مشكلتنا الحقيقية تكمن في البنية الذهنية... والتكوينات صعبة الزوال التي أضاعت بوصلة أي منطق، فباتت ثقافة الخوف تلازمنا، خوف الخروج قيد أنملة عمّا يتوافق عليه الجميع، على الرغم من أننا لا نتوافق معه.. فنحن بمرتبة التابع لكل ماهو سائد، نعيش بوجهين ونتشظّى بين ما نريد، وما يجب علينا أن نريده.. أنا أكره الحالة التأطيرية والتفكير الماضوي].

وتعلّق الكاتبة الأمل على قيام حراك ثقافي ديني يشقّ السائد، ويخترق حاجز الصمت... فالاجتهاد فريضة على كل منا، لقد جاءت رسالة الإسلام لتشمل الحياة الإنسانية عامة، وتوضح الدور البالغ الأهمية الذي أنيط بالرجل والمرأة على حدٍّ سواء في الكيان الأسري والمجتمعي.

وتضيف: [المفارقة الواضحة أن أكثر القوانين المدنية الموضوعة لا تستمد أحكامها من الشريعة الإسلامية، وهي في هذا إجحاف بالفرد المسلم، فالإسلام مثلاً لم يسمح بالتعددية الزوجية دون تقييدها بشروط تقوم على العدل بين الزوجات، ولا يقتصر هذا العدل على الأمور المادية، فثمة مساواة وجدانية وعاطفية أيضاً، فالإسلام حين يوجه إلى أن يوزع الرجل لياليه بالتساوي بين زوجاته، لا يدعو إلى عدالة في العلاقة الجنسية، بل إلى عدل في المشاعر العاطفية التي يقدمها الزوج لنسائه، وربما أن هذه المشاعر يتعذّر التحكم فيها، لذلك أكّدت الآيات الكريمة أن العدل في هذا المجال مستحيل «ولن تعدلوا».

وتلحّ الكاتبة على ضرورة فهم الدين الإسلامي في جوهره قبل المغامرة بتطبيق مبادئه في شؤون الحياة من خلال فهمه فهماً مغلوطاً أو منقوصاً فيه، ومع ذلك فإن الكاتبة تطالب أن تنال المرأة والرجل في حياتهما المشتركة على الصعيد الأسري والاجتماعي حرية الحلم وحقهما المشروع في البحث عن حرية ذاتية تتجاوز المبادئ والأعراف والأطر العقلية التي من شأنها أن تقيد الحرية، وتدفع إلى تقييد حرية الفرد...

تظل أوراق الكاتبة «هنادة الحصري» المبعثرة دعوة أمل وتفاؤل للتغيير الذي يعيد للحياة ألقها المسروق، ويجدّد الدم في شراييننا التي جفّت في عصرنا، إنها صيحة أنثى تعاني، وليس أقدر من المرأة على تجاوز المحن ودفع اليأس والتشبث بالأمل، لأنها راعية الحياة والمكلفة بحكم دورها البيولوجي بمسؤولية تجديد الجنس البشري والعمل على استمراره واستقراره...

كذا همست لي الحديقة؟!

لقاء مع الكاتبة والمترجمة كنينة دياب

اللقاء والصور: عباس علي موسى

كنينة دياب كاتبة ومترجمة من مواليد شتاء مدينة جبلة؛ المدينة الهادئة في محافظة اللاذقية الساحلية، تعدُّ الكتابة هواية على الرغم من أن أرشيفها يضمّ ما يزيد على عشرة عناوين ما بين التأليف والترجمة للأطفال ومن كتابة القصص للكبار وترجمة روايات عالمية وقصص قصيرة.

في منزلها الكائن في مدينة اللاذقية هدوء جميلٌ يوحي بأجواء كتابتها الهادئة حتى في أصعب كتبها، ولعلّنا نذكر عنف الموضوع الذي يمر بنا في أثناء ترجمتها لرواية مريعة كالثلاثية التي ترجمتها لـ ويريس دايريه (راوية تلك الفتاة البدوية الصحراوية التي تتكلم عن ختان الفتيات والصحراء بسوداوية تكون مريعة أحياناً)، حتى موضوع كهذا نجد إزاءه هدوءاً لافتاً في شخصية السيدة كنينة.

مكتبتها التي تضم حوالي (1300 كتاباً) من أجمل الكتب ابتداءً من الجاحظ والمتنبي وسليمان العيسى ونزار قباني والماغوط، مروراً بطاغور ومؤلفات الكتاب المحليين والمعاصرين، وانتهاءً بكتبها التي قامت بتأليفها وترجمتها.

ويضم بيتها في ساحته الخلفية حديقة جميلة ساكنة وعابقة مفتوحةً على البحر، وتودعها الشمس قبل أن تختفي وراء الأفق فوق الموج.

تقول عن نفسها أنها ولدت في يوم الثامن والعشرين من شباط، مع أن السنة كانت سنة كبيسة، وهي مفارقة جميلة، في حديقتها ومنزلها الهادئ الجميل وفي مكتبها كان لنا معها هذا اللقاء:

*من هي كنينة دياب؟

**أنا مدرّسة متقاعدة هوايتها الكتابة للأطفال، أكثر من أنها ممارسة أي عمل ومترجمة، من مواليد مدينة جبلة، درست في مدارس جبلة، وتخرجت في جامعة دمشق كلية الآداب قسم اللغة الانكليزية 1972، ومارست التدريس وأنا لا أزال طالبة، كي أصقل شخصيتي ولغتي الانكليزية وأتكيف مع الطلبة، وربما لهذا السبب استطعت طوال عملي بالتدريس التقرب من تلاميذي وجعلهم أصدقاء لي حتى الآن.

*كنينة دياب مؤلفة ومترجمة، فبأيهما بدأت؟

**إن أي طالب يحب المطالعة والكتب لا بد أن تمر به فترة من كتابة الخواطر وما إلى ذلك، والاحتفاظ بها في الأدراج، لكنني بالحقيقة بدأت بالترجمة، حين كنت مع بعض صديقاتي جالسات في كافتيريا الجامعة، في صيف 1972 حيث كنا ننتظر نتائج امتحانات التخرج وتقدم أحدهم إلينا، وقال بأن الأستاذ بندر عبد الحميد وهو شاعر معروف/ كان يشغل آنئذٍ مدير تحرير مجلة جيل الثورة التابعة لـ اتحاد الطلبة يود أن يجري مقابلة، وكان ذلك، ولفت انتباهه من خلال طريقة حديثي أنه ربما أستطيع العمل في الترجمة لصالح المجلة النصف شهرية، فعرض علي ذلك، وبدأت الترجمة مع المجلة، ولا أزال أتذكر جيداً المقال الأول الذي قمتُ بترجمته وهو مقالٌ عن مسرح العرائس. وعملت حوالي السنتين مع المجلة، وهكذا بدأت عملي مترجمة، وعند سفري إلى دبي مدرسة معارة 1978 بدأت بالترجمة لصالح جريدة الخليج بالشارقة، وذلك إثر شاغر في الجريدة في الترجمة، وبدأت الترجمة في صفحة المرأة والطفل، أترجم مختلف المقالات والقصص المتعلقة بالطفل والأم، إلى أن جاءني رئيس التحرير ذات يوم، وأخبرني بأننا لم نعد نستطيع الحصول على مقالات وكتب من لندن؛ لأن العلاقات آنئذ كانت قد ساءت، وأخبرني إذا ما كنت أستطيع التأليف للأطفال؟!

*من مترجمة بالصدفة إلى كاتبة أطفال بالصدفة!!

** فكتبت لفوري قصة، وناولته إياها، وقال: هل تستطيعين كتابة واحدة أخرى، وكتبت قصتين أيضاً، فقال: «كفى كفى!! ارتاحي اليوم واجلبي غداً ثلاثة، هل تستطيعين؟! فأجبته بأني أستطيع.

وهكذا اكتشفت داخلي مقدرة كبيرة على الكتابة بغزارة، دفعت رئيس إذاعة وتلفزيون دبي آنذاك (نسيب البيطار) إلى طلبي إلى مكتبه، وطلب إلي العمل في كتابة قصص للأطفال في برنامج سيبث على تلفزيون دبي باسم قصة المساء، وتساءل إن كان بإمكاني كتابة تسعين قصة، فقلت إنه بإمكاني ذلك، وبدأت الكتابة في فترة قياسية في فترة أقل من شهرين، وهكذا بتُّ أُعرفُ ككاتبة أطفال. ثم طلب مني مدير برامج إذاعة دبي إعداد برنامج أسبوعي للأطفال وتقديمه، وقمت بذلك، وكان البرنامج يذاع صباح كل يوم جمعة، وأسميته يومها «براعم الغد»، واستمر البرنامج لدورتين إذاعيتين. وصار للبرنامج معجبوه من الأطفال وكانت تصل رسائلهم للمشاركة بالبرنامج وبمسابقة البرنامج والحصول على الجوائز التي وافق المدير العام يومها على دفع ثمنها لشدة إعجابه هو وأولاده بالبرنامج؛ حيث كنت أزور المدارس وأسجل الفقرات بأصوات الطلبة فيها، فصار للبرنامج حيوية وانتشار. كان ذلك خلال عامي 1986 و1987.

وبعد عودتي للبلاد قامت دار الربيع، وهي دار متخصصة بأدب الطفل، بطباعة مجموعة بعنوان 90 قصة (حكايات قبل النوم)، وبالمشاركة أيضاً مع مؤلفين آخرين تحت عنوان 365 قصة للأطفال.

ومن ثم طبعت أربع مجموعات باسم قصص وحكايات للأولاد والبنات، وقام اتحاد الكتاب بسوريا بطباعة مجموعة باسم «فارس يودّع الطفولة»، وهي مجموعة قصصية تعدّ كل قصة منفردة، وتعدّ أيضاً القصص كلها واحدة لكون البطل هو الشخصية الرئيسة في كل قصص المجموعة منذ صغره، وحتى صار في الحلقة الثانوية، وبدأ الزغب يظهر على وجهه، وهو يستعد للمشاركة في معسكر الشبيبة. ويقوم حالياً اتحاد الكتاب العرب بدمشق بطباعة مجموعة قصص متنوعة للناشئة واليافعين تحمل اسم «رسائل إلى أبي».

*كم تأخذ كتابة الأطفال من كنينة دياب؟

**إن كانت نسبة الماء في جسم الإنسان هي 90 بالمئة فالكتابة للأطفال والعيش في عالمهم تأخذ مني هذه النسبة.

*ماذا عن الترجمة؟

**كنت في زيارة إلى سدني في أستراليا، وفي أحد مراكز التسوق لفت انتباهي غلاف رواية عليها صورة وجه فتاة صومالية غاية في الجمال، وحملت الكتاب، وقرأت ما هو مكتوب خلف الرواية، واستهوتني، ثم قرأت معظمها في رحلة العودة إلى دبي؛ إذ إن الرحلة تستغرق 18 ساعة بالطائرة، وهكذا بدأت بترجمتها، وحين عدت إلى سوريا 2006، وفي إحدى المناسبات، صدفت الكاتب والناقد نبيل سليمان صاحب دار الحوار بمدينة اللاذقية، وسألني عما أفعله هذه الأيام، وكانوا يعرفونني على أنني كاتبة أطفال وعضوة في نادي القصة باتحاد كتاب الإمارات في الشارقة، وحين حدثته عن الرواية التي أنا بصددها، أخبرني بأنه علي أن أتمها، وسيقوم هو بنشرها وتوزيعها، وكان يتابعني كي أنهيها، وهكذا قمت بترجمة الثلاثية التي هي من تأليف عارضة الأزياء والكاتبة الصومالية ويريس دايريه (زهرة الصحراء-فجر الصحراء – بنات الصحراء) وصدرت في عامي 2007-2008 وهي ثلاثية مهمة تحكي عن ختان الفتيات في أفريقية والصومال على وجه الخصوص.

*هل اخترت هذه الرواية لكونها لمؤلفة أنثى وتحكي عن هموم المرأة وإحدى مشاكلها في أفريقية؟

**في البداية جذبتني الرواية لا لكونها لأنثى، فربما يكون هذا الاعتبار داخلياً ومن دون ترتيب، لكن الرواية بالفعل مهمة وتحمل بصمة قوية، ورأيت أنه من الجميل لو يقرؤها القارئ باللغة العربية.

وربما لأجل هذا الاعتبار الداخلي أحضّر مجموعة مترجمة لعدد من المؤلفات.

مؤخراً قمت بالبدء بترجمة رواية اسمها 40 قاعدة للحب تحكي عن شمس التبريزي وجلال الدين الرومي، وهي رواية لإلين شفق وهي كاتبة تركية معاصرة، وقد أنهيت قسماً لا بأس به منها لأكتشف وأنا أبحث عن معلومات عن الموضوع على الانترنيت أنه قد تمت ترجمتها من قبل أحدهم، وقد صدرت حديثاً بينما كنت أقوم بترجمتها فتوقفت، ربما تضايقت قليلاً لضياع جهدي، لكن أسعدني أيضاً أنها ستكون بين أيدي القراء؛ لأنها قصة رائعة وتستحق عناء الترجمة والقراءة فعلاً.

ولكنني قمت بترجمة مجموعة أخرى من القصص القصيرة بعنوان (حين يغني طائر الليل)، وهي عبارة عن مختارات لكتّاب من الجنسين قمت بترجمتها من ست مجموعات قصصية مختلفة لكتاب عالميين، وقد صدرت عن اتحاد الكتاب العرب في عام 2008.

وبالمناسبة؛ فبعض الروايات لا تستحقُّ الترجمة، وبالفعل هي كذلك؛ فبعض الروايات على الرغم من كونها عالمية؛ إلا أنها لا تناسب الذائقة العربية أو على الأقل لا تستهويني أنا.

*أين تجد كنينة دياب نفسها أكثر، الترجمة أم التأليف؟

**أجد نفسي في كتابة الأطفال أكثر من أي شيء آخر، فأكثر ما يسعدني ويجعل صباحي مشرقاً هو ابتسامة طفل وتبرعم زهرة.

*إذا لفتت انتباهك رواية ما هل ستقومين بالترجمة، رواية عالمية مثلاً؟

**بالتأكيد فهناك ما يستهويني للترجمة، وأجد أنه يستحق القراءة والترجمة حقاً. إلا أن هناك ما يزعجني؛ فمثلاً برأيي أن سلسلة هاري بوتر لا تتناسب مع ذائقتنا مع كونها عالمية ومعروفة جداً؛ إلا أنني لا أجد أنها تناسبنا كثيراً، وسبق أن أشرت إلى هذا الموضوع؛ فالطفل يشاهد ما هو أصعب في الحياة فلم يلجؤون إلى الخيال؟! إنّهم بذلك يقتلون خيال الطفل، فلم يتركوا شيئاً للطفل ليتخيله، لقد قتلوا خياله؛ بل إنّها تلجئه إلى العنف أكثر.

*الكتابة للطفل مسؤولية كبيرة، كيف تتحملين هذه المسؤولية؟

**الطفولة عالم جميل يوحي لك بالكتابة دوماً، أنا تقدمت بمجموعة إلى إحدى هيئات الدولة فرفضوها، بجملة من الملاحظات، كان أحدها أن في القصص عقدة مفتعلة، أنا برأيي لا توجد عقدة مفتعلة وأخرى غير مفتعلة؛ فالطفل قد يكون في الحديقة، ويمكن أن يمضي لمساعدة أخته التي وقعت على الأرض، ثمّ يهم بالقتال مع أحد الأطفال فجأة أو يمضي إلى الخارج فالطفل كائن عبثي، وليس لديه عقدة مفتعلة فيما يقوم به، وقالوا أيضاً إنها محرضة على العنف؛ فكيف تكتبين عن الخلافات العائلية، وكيف لا نتحدث عن الخلافات العائلية، وهو يراها بأم عينيه، وتحصل أمامه، ويعايشها؛ فلم لا نكتب عنها؟! طبعًا مع مراعاة الأسلوب، والأسلوب الذي يعطيه التفاؤل وعدم اعتبار هذه الخلافات محبطة له ولمستقبله؛ بل هي محرض على التفوق وقوة الشخصية. لماذا نتقبل الواقعية في التأليف للكبار، ولا نتقبلها في الكتابة للأطفال؟! وملاحظة أخرى كتبها أحد قراء الهيئة: أنني أكتب من تجاربي الشخصية، وما ضير ذلك؟ هل هذا غير عادي؟ مع أنني أكتب في صيغة المتكلم المؤنث والمذكر على حد سواء!

وآخر اهتماماتي وأهمها هو أن أهتم بحديقتي صديقتي؛ فقد أكتب قصة ما وأنا أهمس مع إحدى أزاهيرها أو وريقاتها الخضراء التي تجعل صباحي مشرقاً. في الحقيقة أنا صديقة وفية للبيئة. فكلما تجمع عندي أوراق مسودة أو علب كرتون وجرائد أرسلها إلى معامل تدوير الورق، وأما آنية النارجيلة فأستخدمها كمزهريات لوضع الزهور الطبيعية غالباً، وإن لم تتوفر فزهور اصطناعية! إنما ليس للتبغ أبداً، أبداً!

في ثقافة الأطفال

تعالَ نلعبْ.. تعال نقرأ.. تعال نتعلّم!

نـزار نجـار

لعبة الطفل..

اللعبة لدى الأطفال مهمة جدّاً، هذه حقيقة، ربّما يحسّ بها كل واحد من الراشدين..!

ـ كيف؟

ـ لاشكّ أن الشخص الراشد يشعر ـ بينه وبين نفسه ـ أنه فقدَ قدراً كبيراً من الخيال الواسع الذي كان يتمتع به أيام طفولته!!

يشعر بذلك حين يتوقف أمام عدد من الألعاب التي تمتلئ بها المحلات هنا وهناك!..

وإذا ما أراد أيّ أب أو أمّ أن يشتري لعبة من هذه الألعاب عليه أن يفكر أولاً ويسأل:

ـ هل تناسب هذه اللعبة سنّ الطفل؟

ـ هل تتلاءم مع شخصيته البريئة؟

ـ هل لديه القدرة على استيعابها؟

ـ هل تنسجم مع ذوقه الطفلي قبل كلّ شيء..؟

ـ هل الألوان هنا ستثير فضوله وتجذب اهتمامه؟

وبعامة يمكن أن نقول:

ـ إن اللعبة تعني الوسيلة الحاضرة التي تعطي فرصة الاستمتاع والراحة للطفل, وربما يكون هناك وقت طويل يستغرقه الطفل حتى يكتشف نفسه من خلال هذه اللعبة!!

ويستطيع الطفل، على عكس الشخص الراشد، أن يستفيد كثيراً من خاصية الاكتشاف، وهو غير مبال أو مكترث بنجاحه في أداء مطالب اللعبة؛ بل يكتفي, فقط, بمتعة اللعب بها!! لذلك دعونا نترك للطفل براءته الأولى, دعونا نفسح المجال لتلك اللحظات الساحرة، ولتلك العفوية البريئة الحافلة بالمشاعر.. والمفاجآت، دعونا نملأ فضاءه الشاسع بالحبّ والدهشة ومتعة الكشف، قبل أن ندخله في عالم الكبار الزاخر بالهموم والأحزان..!

نظريات!

نظريات عديدة تصدّت للعب الأطفال، نظريات من هنا ومن هناك مورست على هذه اللُّعب طوال سنوات خلت، ومن أجل الدقة نذكر نوعين من هذه النظريات:

1ـ نظرية فرويد:

وقد اهتم بالأثر الذي تتركه اللعبة في إطار الممارسة الجماعية, وعلى ذلك عُنِيَ بالدور الذي تؤديه، ثم وضع تقارباً كبيراً بين اللعب الخيالي واللاشعوري, حيث إنه يمنحنا الانتباه إلى أنَّ اللعبة ذاتها تعطي الأولوية للحركات، تعطي ذلك لردّات الفعل اللاشعورية، وذلك مايجعل الطفل يعايش أوضاعاً وحالات خيالية أو حقيقية!

2ـ نظرية بياجيه:

وقد درس فعل اللعبة من منظور ما تؤسّسه هذه اللعبة داخل مايصطلح على تسميته بالتطوّر الفكري ـ المعرفي المستمر!.

دعونا نملأ فضاء الطفولة بالحبّ والدهشة ومتعة الكشف..!

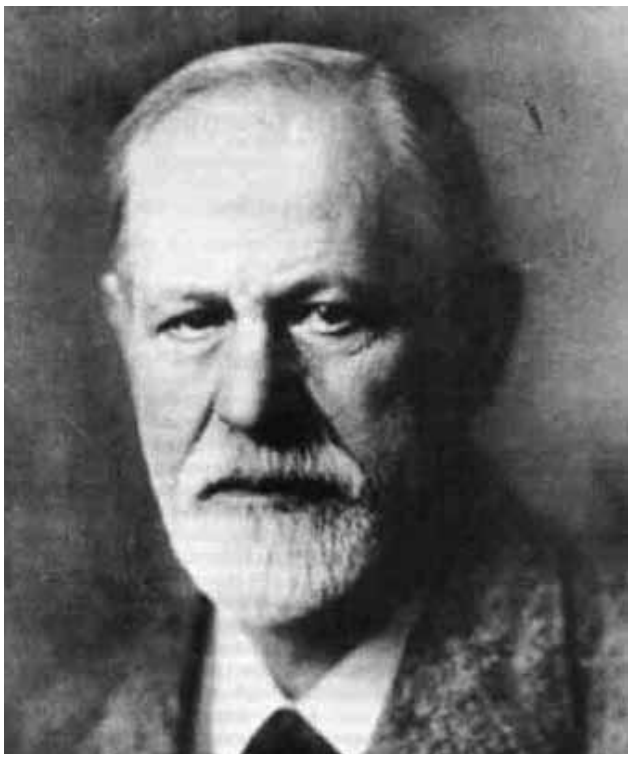

فرويد

فبياجيه يقسم الذاكرة إلى عوامل عدّة تبدأ بالتعوّد الباطني وتنتهي إلى عامل الفكر التكعيبي!.

ومن خلال اللعبة يستطيع الطفل أن يمارس كامل حقوقه الفكرية والشعورية والحركية القديمة والمستكشفة لحركاته وللعبه معاً!.

ومهما كانت هذه المقاربات التي نقوم بها, لابدّ أن نقول:

ـ إن اللعبة هي الطبيعة العفوية عند الطفل!. ودورُنا ـ نحن الآباء ـ هو أن نضع أمام أيدي أطفالنا الألعاب التي تمنحهم المرح البريء, وتقدّم لهم المتعة العفوية، من دون أن ننسى مسألة الاختيار.. اختيار اللعبة التي تقدّم لهم القدرة على التحدّي, وتفتح أمامهم اكتشاف قدراتهم الخاصة!!

أنواع وخيارات

بياجيه

حين يتاح لنا أن نتصفّح الكتب التي تعنى بالألعاب وأنواعها الكثيرة والمختلفة, وهي مطروحة دائماً في المعارض, أو حين نتجوّل في أجنحة المحلات التي تعرض الألعاب وتختصّ بها, (بالمناسبة هناك أسواق خاصة بألعاب الأطفال شاهدتها في بلدان مختلفة مثل الصين!) نلاحظ خمسة أنواع من هذه الألعاب المعروضة:

ـ ألعاب المحركات: تعنى بالجانب الحركي، القوة، التميّز، الخفّة، وذاكرة ثابتة أو متغيّرة تعطي رؤية خيالية كبيرة!.

ـ الألعاب التربوية: وهي تؤثر في التطوّر الفكري، ومن خلال هذه الألعاب يتعلّم الطفل؛ إيجاد الحلول للمشكلات (من خلال اللعبة التي يمارسها) وهذه الألعاب تعطي الأولوية للقراءة والكتابة وتعرف الأشياء من حيث (الشكل، التنوّع، الحجم، الارتفاع..).

ـ ألعاب التشابه: وهي الألعاب التي تعطي للأطفال والناشئين فرصة للتعبير عن مشاعرهم, من خلال تكرار الأوضاع والأنماط من أجل التحكّم بها أكثر، بالإضافة إلى التميّز في اللغة، ويمكن للاعب الصغير أن يستفيد من تعدّد اللغات بعد أن يكتشفها!.

ـ الألعاب الاجتماعية: وهذه الألعاب تعطي حقّ المنافسة بين الجماعة، وتمنح مناخ المشاركة، وفي هذه الألعاب يمكن للطفل

الألعاب تعنى بالفكر والمحاكمة وحلّ المشكلات..

اللعبة تمنح المرح البريء.. ولكل عمر خصائصه وقدراته..

أن يتقاسم اللعبة ويشارك الآخرين فيها، وهي تشيع جواً من المنافسة.. وفضاءً رحباً من التواصل والمشاركة والحميمية!.

ـ الألعاب المشجعة للإبداع: هذه الألعاب تفتح المجال أمام الطفل لتحريك قدراته الخاصة؛ بل لتفعيلها، إذ تقوم على التجربة، وتقدّم مساحة أكبر للخيال الخصب، والطفل سوف يتعامل مع هذا النوع شعورياً وحركياً، وربما يبتكر من خلال هذه الألعاب أشياء جديدة!.

بين الآباء والأبناء

ما مِنْ لعبة من ألعاب الأطفال إلا لها أثر في عالم الطفل، فهي تسهم في تفعيل الشعور لديه، وتعطي الاهتمام؛ بل تترك أثراً بالغاً في حياته فكرياً وحركياً..

وحين نضع عديداً من الألعاب أمامه، يمكنه أن يعتمد على إحساسه، وبالتالي على ذوقه في اختيار مايراه الأفضل والأهمّ له..

هناك مِن الآباء والأمهات مَنْ يقول شاكياً:

ـ إن أطفاله لايولون الأهمية سوى لنوع واحد من الألعاب.. فمثلاً الطفل ليث لا يهوى إلاّ السيارات الصغيرة، والطفلة حنان تحبّ لعبة المنزل والمكعبات الملوّنة، وهناك من يرغب في بساطة اللعبة الأكثر شعبية!.

إذن, لابدّ من أن يتعلّم الآباء الاستجابة لرغبة أطفالهم، وذلك من خلال اللعب معهم، وهذه نقطة مهمّة، وهم بذلك سوف يعلّمون أبناءهم النظر إلى اللعبة نظرة جديدة فيها المشاركة والحبّ!!

ولهذا، يمكن القول:

ـ إنّ كلّ الألعاب التي تُعنى بالفكر والذهن والمحاكمة وحلّ المشكلات هي المثال الحيّ للمشاركة واكتشاف الآخر، مع حضور التواصل والحوار وحبّ العمل!.

ويمكن أن نضيف هنا:

ـ إن شخصية الطفل تقودنا أيضاً إلى اختيار اللعبة المناسبة له، فالطفل الأكثر حركة يمكنه الالتفات نحو الألعاب الخاصة التي تسمح له بالتعبير عن مشاعره، وكما يحدث مع البنات في اختيار الدمية، والمنزل بشرط أن تكون هذه اللعبة في متناول الأيدي!

ولابأس من استقطاب اهتمام الطفل في البداية؛ إذ يلجأ الأب (المربي) إلى إخفاء بعض الألعاب عنه، ولمدة معينة، ثم يظهرها من جديد، وهذا مايعطي الطفل فرحة الاستعادة, وفرحة الظفر بها واكتشافها مرة أخرى!!

وحبذا لو أعطت المحلات المتخصصة في لعب الأطفال فرصة لكل طفل, ليلعب عن قرب، وليكتشف بعد ذلك لعبته المفضلة.

ولنعرف ـ نحن الآباء ـ مدى حبّه, ولنكتشف أيضاً ذوقه في اختيار هذه اللعبة أو تلك!!

ولاننسى أنّ لكل عمر خصائصه وقدراته وطرق الاكتشاف فيه, ولكن علينا ألا نفكر بشراء لعبة عمرها أقل من عمر الطفل بحجة أنّه يستمتع بها أكثر وأطول مدة ممكنة, لأنّ الطفل بحاجة دائماً إلى لعبة تفتح لديه رغبة التحدّي, بحاجة إلى أن يستعمل حواسه كلّها من لمس ونظر وحسّ وتركيز, ومن ينتبه دائماً إلى ذوق طفله واهتماماته مع مراعاة قدراته وإمكاناته وميوله وتطلّعاته يستطيع اختيار اللعبة الملائمة..

أطفال في المدينة .. أطفال في القرية..

إنّ اللعب لدى الأطفال معناه الانفتاح على الآخرين..

معناه تفتّق المواهب, وتوسّع المدارك، معناه النهوض بالخيال ومدى التخيّل, معناه المشاركة وساحات اللقاء, بل معناه الاستثمار في الوقت والاستقلال في الحركة, وعلى ذلك فالعالم الداخلي والخارجي يجب أن يكون مفتوحاً لامغلقاً ليتحقق هذا كلّه!!

إن الأطفال في القرية يتمتعون بمساحة كبيرة من الحرية في اللّعب!

وذلك بسبب توفر المساحات الواسعة من الأراضي, والفضاء الممتد بين الأشجار والنباتات والحيوانات الأليفة, هذه كلها عناصر مفيدة تؤمن للأطفال المغامرة والانطلاق , الطبيعة كلها تسهم في فتح الآفاق أمام الأطفال, وهناك من يقول:

ـ إن إطار الطبيعة الجامدة, والمكبلة بقيودها والمحرومة من التطور في ميادين الحياة المختلفة (ميدان التكنولوجيا والتقنيات و..و..) ربما يحد من انطلاق الأطفال في القرية!!

أما الأطفال فالبناء العمراني جميع الأماكن والأحياء والحارات يحد من حرية فأين أن يمارسوا لامتسع في مغامراتهم الطفولية, لذلك يدخلون في دوائر ضيقة تجبرهم على وضع مخطط لألعابهم, تفرض عليهم طريقة اللعب التي تناسب المكان, يختارون أنواعها وينتقون شكل ممارستها ويحددون طريقة أدائهم لها!!

في المدينة هي مدينة الأطفال..

يسرحون فيها ويمرحون.. يلعبون.. يقودون سياراتهم الصغيرة, وهناك، ألعاب الشوارع والدراجات، والمراجيح, ألعاب مختلفة..

لكن هذه الألعاب محاطة بالعوائق التي تقيدها من كل جانب.. محاطة بمواقف السيارات, بمساراتها أيضاً, محاطة بالأشجار. والأسيجة, والأماكن الخطرة..

المدينة تحدد نمط الحياة ..المدينة تقدم للطفل المحاذير. والحرية فيها نسبية, وعلى ذلك فهي تقدم له أيضاً مجالاً محدداً يقيد التخيل, ويقلص فضاء الانطلاق خارج إطار المنزل, خارج الأسرة التي يتعايش معها..

و.. حين يكبر الطفل قليلاً, ينفتح أمامه الطريق .. ينطلق إلى الملاعب والنوادي, يتخطى الدائرة الضيقة المرسومة له في محيط المنزل أو في فسحة الحي أو رصيف الشارع ليلعب كرة القدم أو في الميادين الذي يكاد يغطي والساحات والأزقة هؤلاء الأطفال!! يمكنهم نشاطهم؟! المكان ليمارسوا الطفولية, لذلك

يمارس الرياضة الحرة والألعاب المختلفة, (أليست الرياضة تدخل في دائرة الألعاب)؟!

إن أشكال اللعب تتحول وتتطور وتتغير مع الزمن, ومع التطور التكنولوجي والتقني, لتأخذ أنماطاً عصرية تناسب التطور الحاصل في الميدان العلمي, ثم تأخذ الألعاب بعدئذ أشكالاً مصغرة, تختلف أدوارها ومهامها المحددة في جلب المتعة والسعادة للطفل من جهة وفتح مداركه وآفاق تفكيره وفضاءات خياله من خلال هذا العالم الصغير غير المحدود المسمى بعالم ألعاب الأطفال!..

آفاق جديدة..

يعدّ التعليم عن طريق الألعاب من أهم الأولويات في حياة الطفل.. بل من أهم المراحل من ناحية زيادة استيعابه وفتح مداركه, وبذلك ـ على هذا الأساس ـ تتكون شخصيته المستقبلية, وتنمو نمواً سليماً, مع ماتلقاه من معارف وتربية وتعليم, فهناك الرياضة, وهناك اللعب، وهناك الابتكارات والمهارات المختلفة, ثم هناك الأنشطة التعليمية (مسابقات، ندوات، لقاءات, حوارات)؛ إذ تسهم كل هذه الأنشطة في دخوله العالم (سواء كان طفلاً يتحدد على أساسها عالمه ومشروعاته وتطلعاته، أو كان طفلة سوف تغدو أماً ومربية تدرك مسؤولياتها, وتملك زخماً من المعرفة يجعلها تكمل دورة الزمن بنشاط وحيوية من خلال تجربتها في طفولتها وماتلقته في تلك السنوات البريئة!)..

إن التوازن والتوافق لدى الطفل يأتي من معرفته بعض الألعاب، ولنقل لعبة كرة الطاولة (التي شغفنا بها ونحن صغار في المدرسة الابتدائية) أو لعبة التنس مثلاً التي تعلم الطفل بعد أن يشتد عوده، ويستطيع المشي بمفرده على توازن رجليه والقفز والانتقال السريع!..

وكل لعبة لايلعبها الطفل ستكون نتيجتها أنه سيلاقي صعوبة، بل صعوبات كبيرة في الاستيعاب، وسوف يكون تطوره بطيئاً جداً!!

إن مجمل القدرات الفيزيائية ـ على رأي العارفين والمجربين ـ وإمكانية ممارسة الأنشطة الفيزيائية والعضلية والفنية والرياضية والأدبية (من خطابة ومحاورة ومشاركات ثقافية)، وظروف ممارستها والسعادة التي تكمن وراءها, كلّ هذه الأمور تتجسد من خلال اللعب!!

وفي الوقت نفسه! إنّ بذل الجهود الضرورية من أجل النجاح يهيىء وضعاً صحياً سليماً ومعافى للطفل في المستقبل!.

الطفل يدخل مجال العمليات الحسابية من خلال الألعاب, يتعلّم الجمع والطرح, يتقن الضرب والقسمة, يطور مفهومه العام للرياضيات, وتتدخل منظومة الألعاب التعليمية في جزئها الحسابي.. وتنمو ـ لدى الطفل ـ الرغبة في الازدياد، ويقبل على تعميق معارفه.. ثم يأتي التشجيع من الأهلين والمدرّسين والأصدقاء, وينطلق في الحياة, يبدأ في حلّ مشكلاته, يجتاز العقبات, يقطع المسافات وهو آمن مطمئن, لقد عرف الطريق, وهو الآن سيستقبل كل شيء بنفس متفائلة, وعزيمة قوية, وإرادة صادقة..

الألعاب تعلّم الطفل الحياة الاجتماعية..

الألعاب تدفع الطفل إلى حالة من الشعور بالاندماج والتواصل مع الآخرين..

الألعاب تقوّي صلته بالأصدقاء، فيندمج معهم في اللعب الجماعي, والعمل الجماعي..

الألعاب تعلّم الطفل حسن الاختيار واتخاذ القرار..

الألعاب تعوّد الطفل التعامل الاجتماعي الصحيح, وتشجع على فتح المدارك في العلاقات الاجتماعية بأنواعها وطبيعتها (سلبية كانت أم إيجابية) واللعبة نفسها, ليست شيئاً تافهاً في حياة الطفل..

اللعبة نفسها هي حالة من النشاط تحمل بين ثناياها أهدافاً ومعاني كثيرة تمهّد لكل طفل الدخول في مراحل الحياة بثقة واطمئنان, وبفكر ونشاط.. وتفتح أمامه آفاقاً لاحدود لها, عندما نحسن فهم قيمتها.. وأهميتها!.

نتائج وتوصيات
ندوة المثقفون العرب والأزمة الراهنة
دمشق ١٨ـ ٢٠١٢/٩/١٩

بمبادرة من اتحاد الكتاب العرب، عقدت يومي (18 ـ 2012/9/19) ندوة فكرية تحت شعار «المثقفون العرب ضمير الأمة وحراس سيادتها» وبعنوان (المثقفون العرب والأزمة السورية... أفكار وحلول) وذلك في قاعة المحاضرات باتحاد الكتاب العرب، وبعد افتتاح رسمي في مكتبة الأسد بحضور بعض أعضاء القيادتين القومية والقطرية، وقيادة الجبهة الوطنية التقدمية، وعدد من الوزراء وقيادات المنظمات الشعبية والنقابات المهنية.

واجتمعت لجنة الإشراف برئاسة السيد رئيس الاتحاد الدكتور حسين جمعة اجتماعها الأخير لصياغة النتائج والتوصيات بحضور مقرري الجلسات وتحدث السيد رئيس الاتحاد حول الأسباب الموجبة لعقد الندوة، والجهات التي تداعت لإقامتها والمتمثلة باتحاد الكتاب العرب والاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين والمؤتمر القومي العربي، وقد بلغ عدد المشاركين في محاور الندوة /93/ مشاركاً من المثقفين والأدباء العرب الذين جاؤوا من ست دول عربية، وقد أصدر المشاركون بياناً في ختام الندوة أكدوا فيه على الدور المركزي والمحوري لسورية بوصفها القلب النابض للعروبة التي تتبنى ثقافة المقاومة، وضرورة حل الأزمة السورية حلاً سياسياً ومن قبل السوريين أنفسهم، ووقف كل السياسات الهادفة إلى سفك الدم السوري، والتدخل العسكري الأجنبي، وتهريب المسلحين المرتزقة والأسلحة والأموال إلى سورية.

وطرح السيد رئيس الاتحاد في ضوء جدية الطروحات والنقاشات التي شهدتها الندوة موضوع ضرورة دعوة وجوه من المعارضة للمشاركة في فعاليات مماثلة مستقبلاً.

وقد حظيت الندوة بتغطية إعلامية مهمة، وشهدت محاورها نقاشاً وحواراً جادين.

وقد توصلت لجنة الصياغة إلى أهم الأفكار والحلول لمحاور الندوة، وجاءت على النحو الآتي:

المحور الأول ـ حرمة الدم السوري والحوار أساس الحل:

1 ـ الدم السوري محرم ولا يجوز إهداره وذلك بموجب الشرائع السماوية والقوانين الوضعية وحقوق المواطن وحق الإنسان في الحياة.

2 ـ وقف كل أشكال العنف والاقتتال واعتماد مبدأ الحوار لحل الأزمة وذلك بناءً على التوصية السابقة.

3 ـ إن التربية الحضارية والثقافية التي تربى عليها المواطن السوري تحصنه ثقافياً واجتماعياً من هدر دم السوري الآخر.

4 ـ توقيع وثيقة شرف تحرم الدم السوري وتعمل على قطع الطريق أمام القوى التي تحرض على العنف والاقتتال.

5 ـ عدم إيجاد أية بيئة اجتماعية حاضنة في سورية للتدخل الخارجي (المسلحون، السلاح، والمال) من خلال التوعية بمخاطر هذا التدخل.

المحور الثاني ـ النسيج الاجتماعي:

1 ـ المحافظة على التنوع الثقافي ووحدة النسيج الاجتماعي في سورية بوصف الأفراد جميعاً متساوين في الحقوق والواجبات.

2 ـ تعزيز مفهوم الانتماء إلى الوطن تحت راية العلم السوري والدستور وترسيخ مفهوم المواطنة.

3 ـ ردم الهوة الكبيرة بين الفئات الاجتماعية (الأغنياء والفقراء) وإعادة الاعتبار للطبقة الوسطى بوصفها الحامل الأساسي للتقدم والتطور والتحديث.

المحور الثالث ـ الحفاظ على الدولة ومؤسساتها:

1 ـ سيادة الدولة السورية ووحدتها (كياناً ووجوداً) خط أحمر.

2 ـ وحدة الشعب السوري (بتعدده الثقافي والقومي) من الأمور التي لا تقبل المساومة.

3 ـ القضاء على الفساد وثقافته وتعزيز مفهوم العدالة الاجتماعية، والعمل بمبدأ تكافؤ الفرص بين المواطنين والبعد عن المحسوبيات وتأكيد مبدأ المحاسبة المسلكية والقانونية للفاسدين وتعزيز كل أشكال الرقابة.

4 ـ العمل على تعزيز مؤسسات الدولة وتطويرها والقضاء على الفساد فيها.

5 ـ دعم دور الشباب في المجتمع بوصفهم الفئة الاجتماعية الأكبر وإعطاؤها الأدوار التي يجب أن تعطى لها.

المحور الرابع ـ الديمقراطية والإعلام:

الديمقراطية عملية داخلية يصنعها الشعب داخل حدوده الوطنية بالحوار والاختيار الشعبي وهي حق يمارسه كل مواطنيه.

1 ـ تأكيد أهمية الإعلام السوري وما قدمه من إنجازات خلال الأزمة وخاصة النزول إلى الساحات والسعي الجاد لتطوير آليات عمله المسموعة والمقروءة والمرئية بما يخدم الوطن والمواطن.

2 ـ فتح منابر إعلامية جديدة (عامة وخاصة) وفق الثقافة الوطنية.

3 ـ تنقية وسائل الإعلام من السلبيات وفتح المجال للمثقفين العرب وعلماء الدين المخلصين والوطنيين من داخل سورية وخارجها للإسهام في العملية الوطنية والديمقراطية.

4 ـ التشجيع على إنشاء القنوات الفضائية والإذاعات والصحف السورية وتشجيع الاستثمار فيها لمواجهة احتكار للرأسمال العربي والأجنبي للفضاء الإعلامي والحماية من الغزو الفكري للأجيال العربية.

5 ـ تعزيز التعاون بين القنوات السورية والعربية والعالمية التي تشاركها الأهداف نفسها لتحرير العقل العربي من الغزو الفكري والتضليل الإعلامي وتزييف الدين الإسلامي الحنيف وتزوير التاريخ العربي.

6 ـ إنشاء مجالس استشارية من العلماء والمثقفين والمختصين في وزارة الإعلام والثقافة والتربية والتعليم العالي لتوجيه البرامج والمناهج اليومية والشهرية لمواجهة المؤامرة.

7 ـ توعية المواطنين بمخاطر الفكر التكفيري بوصفه مارقاً من الدين وخادماً للمشروع الصهيوني.

8 ـ العمل على محاربة التطرف الديني من خلال وسائل الإعلام بأنواعها كافة، وتحذير الناس إعلامياً من الخطاب الطائفي الحامل للحقد والإرهاب والقتل.

9 ـ التأكيد على أهمية تجربة الجيش السوري الالكتروني وتطويرها وتجربة شباب سورية ومنظمات المجتمع المدني نحو ديمقراطية تفاعلية متطورة وتشاركية في كل نواحي الحياة السورية.

10 ـ تعزيز الحرية الفكرية المسؤولة والجادة للعاملين في الحقل الإعلامي، لجميع رجال الإعلام والثقافة والأدباء والمبدعين في إيصال فكرهم للآخر.

11 ـ تخصيص برنامج إذاعي وتلفزيوني موجه إلى الشباب العربي لتوعيتهم بواقع الأزمة السورية.

12 ـ العمل على توثيق العلاقة بين المثقف والجمهور والنزول إلى الساحات الشعبية للتواصل المباشر في الجامعات والمدارس والأحياء والمدن.

المحور الخامس ـ الجيش درع الوطن:

1 ـ تأكيد دور الجيش في حماية الدولة أرضاً وشعباً وسيادة.

2 ـ تأكيد وحدة الجيش السوري بوصفه تجسيداً حياً للوحدة الوطنية.

3 ـ تأكيد أهمية حق الجيش في الدفاع عن كل التراب السوري استناداً لنص الدستور والقوانين الدولية، وبموجب المهام التي أوكلها الشعب للجيش بموجب الدستور.

4 ـ تأكيد أهمية الشهادة والشهداء في تاريخ الوطن وتكريم أسرهم (مادياً ومعنوياً).

5 ـ تأكيد أهمية الشهادة والشهداء في تاريخ الوطن وما قدمه الجيش والقوات المسلحة عبر تاريخه من شهداء مفخرة نعتز بها.

6 ـ تعويض المتضررين في الأزمة من جراء الأعمال الإرهابية.

المحور السادس ـ رفض التدخل الأجنبي:

1 ـ رفض التدخل الخارجي بكل أشكاله وعدّه عدواناً على السيادة السورية أرضاً وشعباً.

2 ـ التدخل الخارجي في السيادة السورية هو شكل من أشكال العدوان بموجب القانون الدولي ويتطلب حق الرد بكل الوسائل المشروعة في الداخل والخارج.

3 ـ التدخل الخارجي والعدوان على سورية من أي جهة كانت يتطلب تماسك الجبهة الداخلية وتكامل العمل الوطني داخلياً وخارجياً وفق آليات تتطلبها الوحدة الوطنية في كل المجالات السياسية والإعلامية والثقافية والدفاع المشروع عن الوطن.

4 ـ توثيق التدخل الأجنبي في سورية بكل أشكاله حكومات ومنظمات وأفراداً وتوصيفهما وفق المعايير القانونية الدولية، وبيان الجرائم التي ارتكبت بحق الوطن والمواطنين في كافة المدن والقرى والمحافظات، وتوثيقها لدى الجهات الدولية وتقديمها للمحاكم لاتخاذ الإجراءات المناسبة والمطالبة بالملاحقة والتعويض.

لجنة الصياغة

بيان

ندوة المثقفون العرب والأزمة السورية

دمشق ١٨-٢٠١٢/٩/١٩

اختتمت في دمشق يوم الأربعاء الماضي الـ19 من أيلول 2012 ـ وتحت شعار (المثقفون العرب ضمير الأمة وحراس سيادتها) ـ فعاليات ندوة ((المثقفون العرب والأزمة السورية.. أفكار وحلول)) شارك فيها 93 كاتباً ومفكراً ومثقفاً وممثلي عدد من اتحادات الكتاب العرب. وقد وزعت أعمال الندوة التي استغرقت يومين على ستة محاور شملت: «حرمة الدم السوري والحوار أساس الحل، النسيج الاجتماعي والأزمة، الحفاظ على الدولة ومؤسساتها، الديمقراطية والإعلام، الجيش درع الوطن، رفض التدخل الخارجي».

وكان المؤتمر قد افتتح فعالياته في مكتبة الأسد، يوم الثلاثاء الماضي، حيث أكد وزير الإعلام د. عمران الزعبي، أن النماذج التي قيست عليها أحداث تونس ومصر وليبيا واليمن سواء لظروفها أم وقائعها أو نتائجها الأولية شكلت حاملاً للهجوم الكبير على سورية تحت مظلة شيطنة الدول وتجريم السلطة على نحو مقصود ومتعمد، إلى حد التكفير الوطني والقومي، الديني والإنساني، والأخلاقي.

لقد كانت هذه الافتراءات مرسومة ومقصودة منذ كان التفكير في العدوان على سورية في مرحلة جنينية بهدف تغيير وجه المنطقة إن استطاع المتآمرون على تعدد لغاتهم وإمكاناتهم، ليخلقوا ما عرف بالشرق الأوسط الجديد، الذي رأى واضعوه ومتعهدو تنفيذه أنه كفيل بتحقيق الهيمنة الأطلسية على العالم شرقاً ومغرباً.

وإذا كانوا في الدوائر الإعلامية يتساءلون بعد أحداث مصر وليبيا، عمن هي الدولة العربية التي ستحل بها الكارثة في المرحلة التالية بعد أن يتم القبض عليها؟ كانت الأنظار تتجه إلى سورية لأمرين اثنين: «الموقف والموقع».

أما الموقف فمؤشراته كانت واضحة المعالم منذ العدوان على العراق عام 2003، والتي رأى المثقفون والمفكرون والكتاب العرب أنه يصح إدراجها تحت عنوان: «ضرورة القبض على سورية لتحقق الولايات المتحدة وحلفاؤها الأقربون والأبعدون هدفين: الأول.. الهيمنة على ممرات النفط، حتى أنه قيل: هذه أول حرب عالمية تحدث في العالم بسبب النفط والغاز، والهدف الثاني هو ضمان أمن الكيان الصهيوني، باعتباره دولة يهودية، قال باراك أوباما في توصيفه لها بأنها «متجذرة في المنطقة».

وهذا يقتضي استدعاء سايكس بيكو ليعمل في سورية تفتيتاً طائفياً يسمى كل كيان باسمه، ويتصالح مع دولة العدو الصهيوني باعتبارها «دولة يهودية».

ولئن أدرك شعبنا العربي في سورية، وفي كافة أمصار الوطن العربي، هذه الحقيقة المبيّتة، فإن الهجمة التي تعرّضت لها سورية استخدمت كل أنواع الحروب التي عرفت حتى الآن من: تضليل وحصار، وترهيب وترغيب، أما الأدوات فكانت وليدة فكرة «الاحتواء» التي مورست إبان الحرب الباردة بين الشرق والغرب.

وإذ توقف المثقفون العرب، وكلهم ولاء للوطن، عند هذه الأدوات وتداعياتها، أيقنوا أن سورية بحاجة إلى إعلام متطور، بكل ما في الكلمة من معنى، وهذا لا يغني عن الحاجة إلى المثقف العربي القومي الملتزم، المالك لكل مقومات الالتزام، كما هي الحاجة ماسة إلى مراكز أبحاث تقدم الخدمة للوطن والدولة.

ويرفضون كل أشكال التدخل الخارجي رفضاً باتاً، ويصرون على أن حل الأزمة السورية ينحصر في السوريين وفق حوار موضوعي يتبنى وحدة سورية وأمنها وسيادتها والحفاظ على نسيجها الوطني الحضاري، ويرى المثقفون أن هذا النسيج جزء لا يتجزأ من نسيج الأمة العربية، وبعده الأخلاقي والإنساني والثقافي، قبل أن يكون بعداً عرقياً.

وإذ يحيي المثقفون والكتاب العرب سورية قيادة وشعباً فإنهم يرون أنفسهم جزءاً لا يتجزأ من منظومة الدفاع عن قيم الأمة ومفاهيمها ووحدة أراضيها وسيادة أقطارها.

الكتاب والمثقفون المشاركون في الندوة

ويحدثونك عن التدخل الخارجي!

د. نزار بني المرجة

(رفض كل أشكال التدخل الخارجي) يكاد هذا العنوان البراق المطروح كواحدٍ من سبل حل الأزمة السورية الراهنة،.. يكاد يكون شعاراً ليس للشعب السوري (بمعظم أطيافه وتياراته السياسية) فحسب؛ بل حتى للكثير من الدول والمرجعيات الدولية التي حاولت أو تحاول الإسهام في طرح حلول للأزمة السورية، وهي تطرح مبدأ عاماً يقول بعدم التدخل الخارجي! مع ملاحظة تبني بعض الأطراف لهذا المبدأ بشكل علني وللاستهلاك الإعلامي فقط، في وقت ثبت فيه بالأدلة القاطعة، أنها تمارس على أرض الواقع عكس ما تدعي أو تقول، وذلك من خلال إسهام تلك الجهات ليس بإدخال السلاح فقط؛ بل حتى قيامها بتدريب مسلحين سوريين وغرباء غير سوريين أيضاً وإدخالهم بطرق ووسائل غير مشروعة إلى داخل سورية..

فتحت عناوين حماية المدنيين أو دعم المعارضة بأجهزة اتصال ومواد غذائية إنسانية فقط! قدمت أمريكا وفرنسا وبريطانيا وتركيا ودول الخليج وغيرها، للجماعات المسلحة الأموال ومختلف أنواع الأسلحة والدعم اللوجستي لدرجة تزويدها بصواريخ مضادة للطائرات، فضلاً عن دعمها بمعلومات استخبارية توفرها الأقمار الصناعية والطائرات من دون طيار والسفن الحربية أيضاً الموجودة حالياً في شرق البحر الأبيض المتوسط، مما يعني تهيئة بنوك أهداف ثمينة ومنحها الجماعات المسلحة لتمكينها من تدمير قدرات الجيش العربي السوري، والمقصود ليس تدمير عتاد الجيش وأسلحته؛ بل حتى قواه البشرية.. وهذا بالضبط ما سعى ومازال يسعى إليه الكيان الصهيوني منذ زمن طويل.. كما هو معروف!

لقد كان لافتاً ومحط احترام كبير قول قداسة البابا بنديكتوس السادس عشر في كلمته عند وصوله بيروت يوم الجمعة 2012/9/14 ما ترجمته: (إن إدخال الأسلحة إلى سورية خطيئة كبرى، والمطلوب إرسال السلام إلى سورية وليس السلاح).

وفي مقابل كل ذلك لا تزال ثمة أصوات نشاز في أوساط المعارضة، تستجدي وتطالب سراً وعلانية بالتدخل العسكري الخارجي بوصفه السبيل الوحيد الناجع! لتحقيق هدفها المتمثل بإسقاط النظام بأية طريقة.. وحتى لو كان ثمن تحقيق ذلك بالتحالف مع الشيطان ورهن مستقبل سورية بإرادة الآخرين الذين هم في الحقيقة الأعداء التاريخيون لسورية..

كل هذا في الوقت الذي يؤكد فيه أولئك الأعداء (المتمثلون عملياً بحلف الناتو) استحالة الاستجابة لهذا المطلب.. في ظل التوازنات الدولية السائدة حالياً على أرض الواقع تلك التي تشير بوضوح إلى انتهاء مرحلة ما يسمى بعالم القطب الواحد، وبروز العالم الجديد المتعدد الأقطاب على ساحة السياسة الدولية..

والملاحظ في هذا السياق عموماً، ومن خلال قراءة مشهد المعارضة السورية غير المتجانسة والمتعددة الولاءات عملياً، أن مطلب التدخل الخارجي من عدمه يكاد يكون قابلاً للإسقاط على المواقف المختلفة لتلك الجهات المعارضة من قبول مبدأ الدخول في حوار من عدمه، فالرافضون للدخول في حوار وطني شامل لحل الأزمة، وهم ذاتهم المطالبون بالتدخل الخارجي! مما أصبح يثير الشكوك حول وطنية هؤلاء، وخصوصاً في عدم وجود برنامج سياسي واضح لديهم حول مستقبل سورية، لأن المخزون السياسي والفكري لدى معظم السوريين وعبر تاريخهم الطويل يشير بقوة إلى تمسك السوريين بوحدة الشعب والتراب السوري عبر التاريخ.. هذه الوحدة التي يمكن أن تذهب أدراج الرياح في حال حصول أي تدخل خارجي.

ندوة المثقفون العرب والأزمة السورية_ أفكار وحلول «٢»

ناقش المشاركون في محور /الديمقراطية والإعـلام/ العلاقة الإشكالية بين الديمقراطية والإعـلام خاصة في ظل تطور تقنيات الاتصال وطغيان شبكات التواصل الاجتماعي، إضافة إلى دور الإعلام في نشر مبادئ الديمقراطية الصحيحة وعدم استغلاله في توجيه الرأي العام بما يخدم مصالح الدول المهيمنة والمسيطرة على وسائل الاتصال.

وفي هذا الاطار أكد الدكتور /خلف المفتاح/ مدير عام مؤسسة الوحدة للصحافة والنشر أن الأزمة في سورية طرحت مفهومًا جديدًا يتعلق بأساليب الاستهداف في عصرنا الحاضر وهو حرب ما بعد الحداثة تشخيصًا لما يتم استخدامه من أدوات ووسائل وأساليب باستهداف سورية، لافتًا إلى أن هذه الحروب لا تقوم بها دول، إنما تحتضنها مجموعات وتنظيمات وربما شركات وأفراد عابرون للدولة الوطنية تركز في استهدافها على التعبئة والتحشيد المذهبي، وتستخدم المجرمين والمرتزقة لاستهداف المواطنين المدنيين بالقتل والتهجير والفرز السكاني العصبي والمذهبي.

وأوضح أن الحرب التي تجري على سورية تهدف إلى حل السياسة الوطنية القائمة وإعادة تشكيلها وفق كيانات جديدة تتماشى مع مخططات غربية واستعمارية تهدف إلى السيطرة على مقدرات المنطقة.

من جهته أشار الدكتور /عيسى درويش/ المستشار السياسي في هيئة الأبحاث القومية إلى أن سورية تواجه أزمة داخلية ومؤامرة علنية تشترك فيها أطراف دولية وإقليمية ومحلية، مبينًا أن القيادة السورية بدأت منذ العام /2000/ بالتنبه إلى أهمية القيام بإصلاحات شاملة، لكن عددًا من الظروف حالت دون تحقيقها بالسرعة المطلوبة.

وبين أن الدستور السوري الجديد الذي صدر في ظل الأزمة رسخ منطلقات ومبادئ التعددية السياسية والمشاركة الجماهيرية الفعالة والواسعة من خلال صناديق الاقتراع في عملية صنع القرار، موضحًا أن الديمقراطية تمثل عملية شعبية بقيادة الشعب داخل حدود الوطن السيادية.

وأوضح أن ما يجري في سورية هو الاعتماد على التكنولوجيا أو اتباع منهج /الغوغاء الذكية/ الذي يقوم على استخدام أجهزة التقانة الحديثة في خلق عدد كبير من المتصلين بهدف تحقيق غايات وأهداف تؤدي إلى تخريب البلد، مشيرًا إلى ضرورة وجود عدد كبير من المتخصصين بعلم النفس والاجتماع والآداب للعمل مع الإعلاميين في مؤسساتهم، بغية اتباع سياسة إعلامية تتماشى مع المتطلبات الوطنية وتحد من عملية التأثير الخارجي في هذا الاطار.

وبين الدكتور /فايز الصايغ/ رئيس لجنة الإعلام والصحافة في مجلس الشعب العلاقة المتبادلة بين الإعلام والديمقراطية، وخاصة في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها سورية، وإلى دور الإعلام في صياغة الرأي العام وبالتالي صياغة القرارات وتوجيه السياسات المختلفة، لافتًا إلى عدم وجود وسيلة إعلامية حرة مستقلة بمعنى الحرية والاستقلال؛ حيث ان لكل وسيلة إعلام محمولاً رسمياً أو غير رسمي، وبالتالي فالمعلومة المقدمة خلالها لابد أن تخدم صاحب رأس المال.

ولفت إلى امتلاك الدول الرأسمالية لوسائل الإعلام المؤثرة مقابل افتقار الدول الفقيرة لها، وعدم قدرة المجتمعات العربية على مراكمة ثقافة وتقاليد إعلامية ديمقرطية تساعد على تشكيل وعي إعلامي يواكب الوعي الديمقراطي أو العكس، متسائلاً عن مدى احترام وسائل الإعلام من حيث مضمونها وجوهرها لقضية الديمقراطية.

وبين أن القوة والتطور اللذين شهدتهما وسائل الاتصال الجماهيري عكس حالة التنمية الاقتصادية والتكنولوجية في العالم عاداً الإعلام أحد الركائز والضمانات الأساسية التي تكفل سلامة العملية الديمقراطية، وهو الرقيب والشاهد على عدم تجاوز أية سلطة من السلطات الثلاث لصلاحياتها الممنوحة لها والمؤداة خلال العملية الديمقراطية وقبلها وبعدها.

وأكد أن السلطة الرابعة تمثل قنوات الاتصال والتفاعل بين النخب والجماهير، وهي التي تسهم بالتالي في دفع الرؤية التشاورية في القرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وبالتالي تشكل جسرًا للتواصل بين الجمهور وصانعي القرار.

وذكر رئيس لجنة الإعلام والصحافة في مجلس الشعب أن الإعلام بوصفه حلقة هامة من حلقات العملية الديمقراطية فانه يشكل الإدارة والحامل للعملية الديمقراطية في أي مجتمع من المجتمعات وإذا ما قام بدوره على وجهه الصحيح، فإنه سيتحول إلى رافد من روافد إنجاح العملية الديمقراطية .

وأكـد انـه لا وجـود لحرية الإعـلام دون وجود للديمقراطية، وأنـه لايمكن تقديم أحدهما على الآخر؛ حيث إن هذه الثنائية العنصر الحاسم في إدارة الشأن العام وصياغة الرأي العام في أي بلد من بلدان العالم.

واستعرض الإعلامي اسماعيل مروة في محاضرة بعنوان آفـات الخطاب الإعـلامـي العربي التطور الإعلامي العربي، ومحاولة تأسيس خطاب إعلامي متطور عبر بذل الجهود وضخ الأموال الطائلة، مبينًا أن التطوير الإعلامي في البلدان العربية أخذ وجهة مختلفة غير التي يجب أن يتوجه اليها .

وبـيـن أن كـل مـا حـدث مـن تطوير إعلامي عربي في العقد الأخير من القرن العشرين تمثل باستثمار التقنيات الفنية الحديثة والتطوير المحدود بعمليات التقديم والإخـراج واستثمار الأقمار الصناعية والهواء بكثافة وإحـداث قنوات متخصصة إخبارية وثقافية وفنية وغيرها عادّاً التحدي الحقيقي الذي يواجه الاعلام العربي بحق هو القيام بصناعة إعلام حقيقي، لاسيما قيام الدول العربية مجتمعة بإنشاء وكالة إخبارية عربية تحاكي أهم الوكالات العالمية الكبرى بهدف صناعة الخبر وتوزيعه وتعميمه وبيعه، ما يـؤدي إلى احداث تطور جوهري في صناعة الخبر الإعلامي ونشره على المستوى العربي.

بدوره رأى الياس مراد رئيس اتحاد الصحفيين أن الديمقراطية في أي بلد ومهما كان شكلها يجب أن تعبر أولاً وأخيراً عن مصالح الشعب، وأن تقود إلى حالة من حرية التعبير عن الرأي، في حين يجب على وسائل الإعلام أن تؤدي دورها في ايصال ما يريده الشعب إلى الجهات المعنية، لافتًا إلى أن الديمقراطية يجب أن تكون سبيلاً للأمن والأمان والحياة الرغيدة في إطار نظام يمثل مجموع الشعب.

وأشار /مراد/ إلى أن الاعلام الخارجي الذي يقود حملة إعلامية تضليلية ضد سورية فقد كل أسس الديمقراطية وأصبح أداة في مواجهة الشعوب، مبينًا أن هذا الإعلام أصبح شريكًا في سفك دماء السوريين بعد أن أسهم في إنتاج مجموعات إرهابية مسلحة تفننت بأعمال القتل والسلب والنهب والخطف والاغتيال.

من جانبه استعرض /طالب قاضي أمين/ رئيس المجلس الوطني للإعلام الخطوات الاصلاحية التي اتخذتها سورية في مجال الإعلام بدءًا من قانون المطبوعات الـذي صدر في العام /2001/ وصولاً إلى صدور قانون الإعلام الجديد الذي يعد أحد أهم الخطوات الإصلاحية، لما يمثله من نقلة نوعية في إعطاء الإعلام دوره الوطني في بناء سورية وتحويل الإعلام إلى مرآة تعكس الحالة الحضارية السورية في التعامل مع جميع القضايا التي تهم الوطن والمواطن.

وأشار إلى أن المجلس الوطني للإعلام تشكل وفق قانون الإعـلام الجديد، واستكمالاً للخطوات الإصلاحية؛ حيث يعد المنتج الأول على الأرض

للعملية الإصلاحية من خلال قيامه بتنظيم العمل الإعلامي وضمان حرية الإعلام والتعبير والمساهمة في رسم السياسات ووضع الأسس لعمل إعلامي حقيقي إضافة إلى متابعة التزام وسائل الإعلام الوطنية بقانون الإعلام.

وعـرض رئيس المجلس الوطني للإعلام أهم المشكلات والعقبات التي واجهت المجلس في أداء مهامه، لا سيما نظرة وزارة الإعـلام للمجلس والبيروقراطية الحكومية في تأمين متطلباته، مبينًا الخطوات التي تم اتخاذها في سبيل وضع المجلس في الموقع الذي أسس من أجله من خلال عقد أكثر من عشرين اجتماعًا نوعيًا لمناقشة القضايا التي يجب العمل عليها ووضع التصورات اللازمة لإنجاز أغلب المهام المنوطة بعمل المجلس.

وأكد /قاضي أمين/ استعداد المجلس وأعضائه للعمل وبذل الجهد المطلوب لخلق حالة جديدة من الأداء والعمل الإعلامي الوطني السوري بشكل يستند إلـى قانون الإعـلام الجديد، ويسهم في التجاوب مع العملية الإصلاحية، ما يسرع انتهاء مفاعيل الأزمـة في سورية لا سيما مواجهة إعلام خارجي يملك إمكانات هائلة يضعها في خدمة المؤامرة التي تستهدف سورية وطنًا وشعباً.

بـدورهـا قالت الدكتورة ناديا خوست عضو المجلس الوطني للإعلام إن الاعلام لم يعد مساحة محدودة تستخدم الكلمة والحوار الحر في صراع الأفكار؛ بل أصبح سلاحًا مشاركًا في الحرب يعتمد الصورة والإخراج الفني والحيل السينمائية والإيحاء وعلم النفس ومهارة التزوير، مشيرة إلى أن تقدم تكنولوجيا الاتصالات ومساحة سورية الجيوسياسية وظهور قـوى شابة اقتصادية وسياسية عوامل أسهمت جميعها في توظيف الإعلام لخدمة الحرب على سورية بشكل دؤوب.

ورأت خوست أن الغرب يصادر الديمقراطية ولا يصدرها؛ حيث يعتمد التدخل ويرفض حقوق الشعوب في اختيار أنظمتها، ويدعي أن ذلك غيرة على الحريات ويوهم بأن الديمقراطية هي حرية التعبير المطلقة للمجرمين والجواسيس، وينفي ارتباط الحرية بالمسؤولية عن حق المجتمع في الثقافة والتقدم ومعرفة الحقائق، ويجيز للإعلاميين الكذب والتحريض على القتل، ويحمي الجرائم والعدوان على الدولة المستهدفة.

وتـسـاءلـت خـوسـت عـن عـلاقـة الـمـشـروع الاستعماري الغربي بالديمقراطية، وهو يعمل على توظيف المجموعات القادرة على التطهير المذهبي والتعبئة الفكرية الدينية بغية إلغاء موقع سورية المحوري وثوابتها القومية والوطنية ودفاعها عن المقاومة العربية، وسعيه لتفكيك سورية إلى مناطق اثنية ومذهبية لحماية الأمن الاسرائيلي، لافتة إلى اعتماد الغرب لغة الأوصياء والبطش والعقوبات وتسريب السلاح ومنع الحوار والتعاقد مع منظمات يسميها هو نفسه ارهابية ويستخدم الإعلام في تغييب حقيقة ما يجري على الأرض.

وختمت خوست بـالـقـول...إن قانون الإعـلام الجديد يعدّ أول خطوة في طريق إصلاح هذا القطاع الهام، لكن المسألة ليست تغيير مادة في الورق؛ بل تغيير الأخلاق والرؤية، ويبدأ ذلك من الإيمان بأن الإعلام ملك عام يستقوي بقوس واسع من القوى الاجتماعية، يفترض احترام الشعب السوري الذي حمى الوطن، وإن مهمته الأولى نقل صوته ومعاناته وطموحه ونشر المعرفة وإرواء الروح بثقافة إنسانية، وتوسيع الوعي البيئي والتاريخي والصحي وملاحقة الفساد.

بـدوره دعا الأديـب راتـب سكر إلى زيـادة عدد الصحف والمجلات في سورية لتتناسب مع الزيادة السكانية، وارتفاع مستوى التعليم بين شرائح المجتمع، حتى يكون الإعلام قريبًا إلى درجة كبيرة من الجماهير، ومعبرًا عن آرائهم، إضافة إلى العناية بالأقسام الثقافية لهذه المطبوعات، والعمل على نشر الأخبار والمواد الثقافية حول إصدارات ومنشورات اتحاد الكتاب العرب.

وأشار الشاعر خالد أبو خالد إلى ضرورة التأسيس لحوار ديمقراطي داخل المؤسسات الإعلامية، وعقد لقاءات دورية مع الإعلاميين، وتنظيم ورشات عمل لهم والعمل على تشكيل رؤية واضحة حول ما يريد الإعلام إيصاله للجمهور، إضافة إلى ضمان حرية حصولهم على المعلومات ومنحهم هوامش أكبر من الحرية والقدرة على التغطية الإعلامية وإيصال الخبر الدقيق، داعيًا إلى تشكيل حلقة من علماء النفس والاجتماع داخل المنظومة الإعلامية؛ بحيث تكون قادرة على قيادة الحرب النفسية ضد العدو.

من جهته أكـد غالب قنديل عضو المجلس الوطني للإعلام المرئي والمسموع في لبنان ضرورة التوجه نحو ديمقراطية تناسب المجتمع العربي وشكل الدولة الحديثة المؤسساتي القائم على مبدأ التعدد السياسي الاجتماعي والاحتكام للاقتراع الشعبي في تكوين السلطات والمؤسسات العامة للدولة الوطنية السورية التي نريدها أكثر تجذرًا ومناعة في هويتها القومية كدولة مقاومة حرة مستقلة وسيدة وقوية بجيشها العقائدي البطل.

ولفت إلى أن العملية الجارية في الإعلام الوطني السوري هي مقاومة وطنية إعلامية في وجه العدوان وأدواته الاعلامية، تتخذ طابعًا مصيريًا، وهو ما تؤكده منظومة العقوبات والحصار ضد الإعـلام الوطني السوري بعد نجاحه في تفكيك البيئة الافتراضية وكسب الجولات الرئيسية الفاصلة من الصراع في الميدان الإعلامي، مبينًا أن ما يجري في سورية اليوم من إرسال لفرق الموت التابعة للاستخبارات الأجنبية وحشد المجموعات الإرهابية المسلحة التكفيرية متعددة الجنسيات واستقدام عصابات اللصوص والمرتزقة وإحراق المدارس والمستشفيات والبيوت والحقول يوصف في الإعـلام الغربي الـذي يدعي الموضوعية على أنه ثورة.

وأوضـح.. أن مكتب التواصل الأميركي في المنطقة هو من يقود الحرب الإعلامية على سورية،

ويجند لها شركات دعاية عالمية لصناعة الشعارات وتصنيع الأفلام والشائعات وتسانده أكثر من مئة مؤسسة إعلامية كبرى صحافية وتلفزيونية وإذاعية عالمية وإقليمية تمتد بدءا من شبكات إعلامية الكترونية مستحدثة مرورًا بمحطات كبرى أميركية وبريطانية وفرنسية وألمانية ناطقة بالعربية، مرورًا بالقنوات والصحف والإذاعات السعودية والقطرية والتركية والمصرية واللبنانية، وصولاً لمحطات تلفزيونية مكرسة لخطب التكفير وفتاوي القتل والفتنة.

ولفت قنديل إلى جملة من الخطوات المهمة التي يجب اتخاذها لمواجهة الحصار والعقوبات المفروضة على الاعلام السوري كبناء شراكات جديدة في البث عبر الأقمار الصناعية مع الدول الحليفة كإيران وجنوب أفريقيا والبرازيل وروسيا والصين وتكوين باقة تلفزيونية ناطقة بالعربية جاهزة للبث المشترك بواسطة الأقمار الصديقة، بما يتيح تحول المشاهدين إليها والبدء بتكوين شبكة أرضية وطنية للبث الإذاعي والتلفزيوني قابلة للتحول الرقمي، لتفادي تعطل البث الفضائي في ظروف الكوارث الطبيعية والنزاعات السياسية والحروب بين الدول.

وقال: إن المعنى الحقيقي للديمقراطية في الإعلام هو الالتزام بالحق المتكافئ في التعبير عن الآراء بين المواطنين والتيارات والقوى الحية في المجتمع، وإن النصوص القانونية السورية التي أقرت مؤخرًا في سورية تعدّ متقدمة ومتطورة قياسًا لما هو موجود في العالم لجهة استقلالية المرجعية الناظمة للإعلام وتكريس حرية الرأي والتعبير، واحترام الطابع المتعدد للأفكار والتيارات السياسية في المجتمع.

وأشار قنديل إلى أهمية تنظيم ورش عمل ودورات مستمرة للإعلاميين حول إدارة الحوارات وتقاليد التعامل التحريري مع الاخبار والمواقف والتعبيرات السياسية والاجتماعية وتطوير النقاش الوطني حول لغة الحوار الإعلامية والاستعانة بخبرات وطنية من الدول العربية والدول الصديقة، اضافة إلى توسيع قاعدة المنظمات المهنية للإعلاميين والكتاب وتأسيس منظمات نقابية للمؤسسات الإعلامية الإذاعية والتلفزيونية والالكترونية الخاصة.

الجيش العربي السوري درع الوطن:

ورأى المتحدثون في محور /الجيش العربي السوري درع الوطن/ أن الجيش السوري يشكل سقف التطور العسكري العربي، وقد أعطى للعالم دروسًا في التماسك والصمود والعزم ومحاربة العدو عادّين وقوف الشعب العربي إلى جانبه ليس مجرد دعم سياسي وأخلاقي؛ بل لأنه حامل للمشروع القومي النهضوي ويلتزم بمنهج مقاوم ممانع للتدخل الخارجي.

وبين الدكتور /محمد حديفي/ رئيس الجلسة ورئيس تحرير مجلة الفكر السياسي وعضو المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب أن الجيش العربي السوري تأسس على مبادئ أهمها حرمة الدم السوري، وأن عدو الوطن هو الكيان الصهيوني، ودوره هو حماية السوريين وأمنهم وأعراضهم وممتلكاتهم.

ولفت /حديفي/ إلى أن سورية تتعرض لمؤامرة شرسة استهدفت أرضها ووجودها وموقفها، ودمرت بناها التحتية وقطعت الطرق وهددت أمن السوريين بفعل أموال دول الخليج التي أغدقت على المسلحين، وبالاشتراك مع بعض وسائل الإعلام التي امتهنت التزييف والتحريض.

وأوضح رئيس تحرير مجلة الفكر السياسي أن الجيش العربي السوري كشف أبعاد المؤامرة، والتف حوله السوريون لمناصرته ومساندته في الدفاع عن الوطن وحمايته، مؤكدا أن الجيش سيواصل المعركة حتى يتم القضاء على آخر مرتزق، ولتخرج سورية أقوى ويعود الأمن والأمان والاستقرار لأرضها وشعبها.

وبين /حديفي/ أن رحلة العودة نحو الاستقرار والتماسك والأمان في سورية قد بدأت وستعود

أقوى مما كانت عليه بفضل جيشها الوطني الذي أثبت أنه عصي على التفكك، وأن المؤامرة لم تنل من صموده، وستكون المعركة القادمة في ربوع فلسطين والجولان.

ورأى أن سورية هي ملتقى الأدب والأدباء والمفكرين؛ حيث يعيش فيها شعب متآلف متعاطف قد تختلف آراؤه وتوجهاته لكنه يبقى تحت سقف الوطن.

بدوره أكد /د. حسين جمعة/ رئيس اتحاد الكتاب العرب أن الجيش العربي السوري درع الوطن ومؤسسة وطنية يترتب عليها واجبات، وقد برز دورها في الأزمة الحالية كونها جزءاً أساسياً من الحل عادّين المواطن والجيش شركاء في مواجهة الأزمة وحلها.

من جانبه أكد /أحمد الكحلاوي/من تونس عضو اللجنة الشعبية لمقاومة المشروع الصهيوني أن الجيش العربي السوري أثبت خلال الأزمة أنه أفضل من يدافع عن وطنه، وأثار اعتزاز الأمة بعطائه اللامحدود.

وبين /الكحلاوي/ أن الجيش السوري قدم عبر التاريخ عدد كبير من الشهداء دفاعًا عن قضايا الأمة، والتزامًا منه بعقيدته القومية والوطنية؛ حيث ساهم بانتصارات المقاومة في لبنان والتزم بالقضية الفلسطينية كعنوان أساسي لحرية العرب وطريق وحيد لوحدتها.

وأكد المشاركون أن الجيش العربي السوري يمثل النسيج الاجتماعي المتنوع للمجتمع السوري وقد أثبت خلال الأزمة التي تعرضت لها سورية أنه موحد للصفوف وحامي الوطن والمدافع عن حريته واستقلاله وكرامته وكرامة المواطن ضد العدو الصهيوني وأنه كتلة واحدة ذات قرار مستقل وسيادة ضد التآمر الإقليمي؛ كما أنه دعامة أساسية للشعب الفلسطيني وإقامة دولة فلسطينية.

وأوضح المشاركون أنه جيش نظامي غير كلاسيكي يتبنى استراتيجية تمكنه من القتال بالأسلوب النظامي أو المقاوم، وهو جيش نوعي يحسب له حساب بموازين القوى العالمية، ويتمتع بقوة وامتلاك لأساليب قتالية متطورة ونوعية ومعنويات عالية وكفاءة لخوض أي معركة والانتصار فيها.

وبينوا أن سر قوته تكمن في ثلاثة أمور هي: العقيدة الوطنية والانضباط العسكري الصارم والالتزام بالمهمة الوطنية التي أوكلت إليه والمتمثلة بالدفاع عن الوطن داخليًا وخارجيا عادّين الشعب السوري هو الجيش الحقيقي الذي استطاع أن يقف على قدميه رغم كل ما تعرض له.

وكشف المتحدثون أن سورية تتعرض لمؤامرة تدعمها الحكومة الأمريكية والاستعمار الغربي، وتشارك فيهما ممالك وإمارات عربية أضاعت هويتها القومية؛ وصادرت حقوق شعبها بالتحرر من الهيمنة الاستعمارية وامبراطوريات إعلامية ضخمة هيمنت عليها مصالحها وأطماعها.

وأكد المتحدثون أن الشعب العربي يعرف هذه المؤامرة، ويدرك كل الحقائق، وما يثبت ذلك هو مسيرات التضامن مع السوريين شعبًا ودولة التي انطلقت في عدد من الدول العربية كذلك الجاليات التي تزور سورية باستمرار معبرة عن تأييدها لمسيرة الإصلاح فيها.

واقترح المشاركون تأسيس ملتقى شعبي قومي تتبناه سورية تحت هدف توحيد النضال الشعبي العربي للتصدي للمؤامرات وتنشيط الوعي العربي القومي وفضح الدور الخياني لبعض الدول العربية التي أرسلت المرتزقة والسلاح، وانتهكت سيادة الشعب السوري واستقلاله.

رفض التدخل الخارجي:

وأكد المشاركون في محور رفض التدخل الخارجي على أن ما يجري في سورية هو حرب بالوكالة تقوم بها المجموعات الإرهابية المسلحة خدمة لأجندات استعمارية غربية وعدم شرعية جميع أشكال التدخل الخارجي سواء المباشر وغير المباشر،

وأن الشعور العاطفي والوطني عند السورين يتجلى برغبته بعدم التدخل الخارجي والتمسك بوحدة الأرض والتراب .

ودعا /علي قاسم/رئيس تحرير جريدة الثورة إلى وضع تصور واضح لمعنى التدخل الأجنبي، وتبيان جميع أشكاله المباشرة وغير المباشرة؛ خاصة التدخل الدبلوماسي والإعلامي، مبينًا أن الغاية من دعوة البعض للتدخل الخارجي والإصرار على العسكري منها هو صرف الأنظار عما يجري حقيقة في سورية؛ حيث إن ما نشهده حاليًا من أحداث عبارة عن حرب بالوكالة عبر مجموعة من المرتزقة و المسلحين.

وأوضح أهمية طرح الأفكار العملية القابلة للتطبيق على أرض الواقع، وتساعد على إيجاد مخارج سليمة للأزمة السورية وتفعيل دور المثقف كفرد وكمؤسسة في هذه المرحلة؛ حيث ظهرت الحاجة الماسة إليه مؤخرًا في ظل ظهور من سرقوا شعارات الإصلاح والحرية والديمقراطية، وأدخلوا المجتمع في حالة من الفوضى إضافة، إلى تفعيل دور وزارة الثقافة واتحاد الكتاب العرب في هذا المجال.

وأشار/قاسم/إلى قدرة الإعلام السوري في هذه المرحلة على استدراكه للسلبيات والثغرات التي شابت عمله موضحًا أهمية التواصل مع الجماهير على المستوى الداخلي والخارجي وإعطاء الحرية الكافية للمثقفين، ليأخذوا دورهم ويقوموا بالمهام المناطة بهم في توعية المجتمعات والارتقاء بها.

من جانبه أشار الدكتور /غازي حسين/ أستاذ القانون الدولي في جامعة دمشق وعضو الأمانة العامة للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطيني إلى تأكيد إعلان الأمم المتحدة حول مبادئ القانون الدولي الذي يتطابق مع المبادئ الواردة في ميثاق المنظمة الدولية، على أنه لا يحق لأي دولة أو مجموعة من الدول أن تتدخل في الشؤون الداخلية الخارجية للدول الأخرى بشكل مباشر أو غير مباشر، وبالتالي يعدّ التدخل المسلح غير شرعي، وينتهك مبادىء القانون الدولي الأساسية، وبالتالي لا يجوز لأي دولة أن تدعم الأعمال الإرهابية والنشاطات المسلحة المنظمة التي تعمل على تغيير النظام في دولة معينة بالقوة، كما فعلت الولايات المتحدة الأمريكية في العراق وأفغانستان.

وأوضح أن الداعمين للتدخل الخارجي في سورية وعلى رأسهم الامبريالية الأمريكية والدول الغربية وأتباعهم من آل سعود وآل ثاني؛ إضافة إلى تنظيم القاعدة الإرهابي؛ يرون فيه فرصة لإضعاف محور المقاومة والممانعة والقضاء عليه وتدمير سورية وجيشها العربي السوري، لافتًا إلى مواقف روسيا والصين وايران المناهضة لهذا التدخل السافر.

وبين أن الموقف الأمريكي يقوم حاليًا على استخدام بعض جماعات الإسلام السياسي ومنها الوهابي والتكفيري لخدمة مخططاتها ومصالحها، وإعادة إنتاج هيمنتها ومكانتها المتزعزعة والآيلة للسقوط، مشيرًا إلى دورها في إطالة عمر الأزمة السورية عبر دعم المعارضة المسلحة بالمال والسلاح وأجهزة الاتصال الحديثة، وعرقلة أي حل سياسي للأزمة ما زاد من تعقيد الأزمة.

وأكد أن ما تشهده سورية حاليًا سيسهم في إنتاج نظام إقليمي عالمي جديد متعدد الأقطاب، سيحدد مصير المنطقة العربية لصالح شعوبها وحركات المقاومة.

ودعا المثقفين إلى تصحيح المفاهيم السائدة حاليًا /كالربيع العربي والانشقاق/ وإعادتها إلى مكانها الطبيعي على اعتبار أن المثقفين هم الشريحة الأهم في المجتمع والتوجه للرأي العام العالمي.

وأكد الدكتور نزار بني المرجة عضو المكتب التنفيذي في اتحاد الكتاب العرب أن طلب التدخل الخارجي في سورية مرفوض والحل يكمن في حوار وطني شامل لحل الأزمة، منوهًا بأن المخزون السياسي والفكري لدى معظم السوريين وعبر تاريخهم الطويل يشير بقوة إلى تمسكهم بوحدة الشعب والتراب السوري ورفض كل أشكال التدخل الخارجي.

وأشار بني المرجة إلى وجود أصوات نشاز في المعارضة السورية تستجدي وتطالب سرًا وعلانية بالتدخل العسكري الخارجي، حتى لو كان ثمن ذلك رهن مستقبل سورية لإرادة الآخرين والتحالف مع الشيطان، مبينًا أنه في ظل التوازنات الدولية السائدة حاليًا بات واضحًا انتهاء مرحلة ما يسمى بعالم القطب الواحد وبروز العالم الجديد متعدد الاقطاب على ساحة السياسة الدولية.

بدوره عدّ خالد عبد المجيد الأمين العام لجبهة النضال الشعبي الفلسطيني أن فشل التدخل الخارجي في سورية يعود إلى موقف القيادة السورية القوي أمام الهجمة التي شنت عليها وتمسكها بالسيادة الوطنية، وعدّها هي الأساس والمقياس للتعاطي مع أي مبادرة دولية أو إقليمية أو عربية، لافتًا إلى رفض الشعب السوري لأي تدخلات خارجية ونجاح الدولة في المعركة الإعلامية والجماهيرية إلى جانب الموقف الروسي والصيني ومواقف الدول الأخرى الصديقة كدول /البريكس/ وإيران.

من جانبه دعا محمد مسعد الرداعي الأمين المساعد للتنظيم الوحدوي الناصري في اليمن إلى التقارب وتفعيل التواصل والتحاور مع المعارضة الوطنية السلمية، وتوحيد صفوفها ومواقفها تجاه التدخلات الخارجية، وتفعيل التواصل مع قوى المقاومة والممانعة في الساحات العربية للتصدي للتدخل الخارجي وتفعيل دور وسائل الإعلام والمثقفين العرب.

واقترح الرداعي رصد ممارسات المجموعات الإرهابية المسلحة والتوثيق لها وكشفها للرأي العام الداخلي والخارجي، وتفعيل التواصل مع أبناء الوطن في المهجر والجاليات العربية، ووضعها بصورة المستجدات لخلق قوة ضغط على شعوب الدول المتامرة وحكوماتها.

وطالب برفع مستوى الأداء الإعلامي وتسليط الأضواء على الممارسات المنتهكة لحقوق الإنسان والتي تقوم بها المجموعات الإرهابية المسلحة وتحقيق تماسك الجبهة الداخلية السورية عبر ترسيخ قيم الشراكة وحقوق المواطنة وسيادة القانون.

شجرة المحافظ (قصة من نيجيريا)

بونزو أيديجنا*

ترجمة : شوكت يوسف

التقط الصدى النداء ورددته جدران المجمع الحكومي الضخم المشاد حديثاً قبل أن يصل الصوت إلى الزقاق؛ حيث كان البستاني العجوز جالساً شبه نائم آخذاً ذقنه في راحتي يديه الخشنتين المتشققتين.

فتح أمينو عينيه، فركهما.. رفع يده أمامهما متقياً وهج أشعة الشمس. تمطى، تثاءب عن فم أدرد، وطقطقت مفاصله كما صرير مفصلات الأبواب غير المشحمة. أرهف السمع ـ لم يعد يسمع نداء ـ وجلس ثانية على حجر بناء مكسور.

ـ أمينو أمينو ـ رن الصوت في أرجاء المبنى الضخم، ووصل أسماع البستاني قوياً غاضباً.

نهض البستاني، وكان على أتم استعداد لتلبية طلب كل من يناديه بإلحاح. أسرع باتجاه مصدر الصوت قبل أن يصل اسمه أسماع الأرواح الشريرة.. وهات عندها مصائب ومفاجآت شتى غير سارة.

ما كاد يلف الزاوية حتى صار وجهاً لوجه أمام صاحب سيادة المدير.

ـ ما بك، أصم؟ ـ صرخ غاضباً. ـ كم مرة يجب أن نناديك حتى تسمع؟

كان السؤال من النوع الذي لا يتطلب جواباً. مع ذلك قال أمينو:

ـ سامحوني. أنا مذنب والله..

ـ مذنب، مذنب.. تمتم الحاجب متأففاً ـ والعقاب على قدر الذنب. ـ سيادة المدير يطلبك إلى مكتبه.

هذه هي المرة الأولى التي يستدعيه مدير المنطقة، لذا بدا متخوفاً ومتوجساً جداً.

ـ ماذا حدث؟ ـ سأل أمينو بقلق وارتباك. لكن كان الحاجب ـ كالعادة ـ قليل الكلام.

ـ امش، امش، ـ وأشار له بيده بفظاظة. ـ هناك تعرف كل شيء.

صعد البستاني العجوز درجات السلم واحدة إثر أخرى بصعوبة. توقف على بعد خطوات من باب مكتب سيادة المدير، ونظر إلى ثيابه غير اللائقة مع إحساس حاد بالخجل. كانت بادية بشكل ظاهر على قميصه المغبر قطب الخيوط السوداء الدالة على محاولات زوجته الدائمة وغير الناجحة على خياطة الثقوب ورتقه. كذلك كان البنطال مهترئاً مهلهلاً، وبوجه خاص قرب الركبتين ـ فهو يزحف من الصباح حتى المساء في الحديقة، يقلم ويعزق ويسقي. نظر إلى حذائه المطاطي ثم إلى بنطاله المشمر مرة ثانية. خلع الحذاء ومسح رجليه على العتبة الاسمنتية ثم قرع الباب بحذر. سمع صوتاً قوياً يأمره بالدخول.

ـ مساء الخير سيدي.

رفع مدير المنطقة نظره للحظة سريعة ثم انكب ثانية متابعاً العمل الهام الذي استغرق جل وقته في هذه الأيام. كان الرجل واحداً من خريجي الجامعات الكثيرين الذين فضلوا العمل الوظيفي الدائم في الدوائر الحكومية على العمل في المؤسسات الانتاجية التجارية والصناعية. كان بوجه عام طويل القامة، لكنه بدا الآن للبستاني العجوز أطول وأضخم. درج على عدم التحدث مع الموظفين من المراتب الدنيا، كما كان يرد التحية لهم بحركة من رأسه. في سنوات الدراسة غداً واحداً من المعادين بشكل مباشر للنظام العسكري، أما الآن فيجلس راضياً مطمئناً يقلب الإضبارة أمامه، ويعد خطاب المديح لممثل الجماعة الحاكمة. فقبل أسبوعين أُبلغ بزيارة المحافظ المرتقبة، ومنذ ذلك الحين ترك كل الأعمال الأخرى انكب على تحضير خطاب الترحيب.

كالعادة كانت السطور الختامية أصعب شيء. أعاد قراءة الفقرة الأخيرة ـ في البداية همساً ومن ثم بصوت مسموع: «عطوفة المحافظ! شهدت المحافظة في عهدكم نمواً مطرداً للرفاه الاجتماعي، وشعر أبناء الشعب والمواطنون الفقراء بارتياح لا مثيل له. كان شعاركم ـ تكافؤ الفرص، التوزيع العادل للثروة الوطنية، مساواة الجميع أمام القانون..» أحس أن كل ما قاله غير كاف. فما عساه أن يضيف كي يستثير حماسة الجمهور وتصفيقه، ويلحظ ابتسامة الرضا على وجه المحافظ.. غرق من جديد في التكفير واضعاً طرف قلم الحبر الناشف بين أسنانه. رفع رأسه إلى السقف كمن يأمل في رؤية الكلمات المطلوبة هناك. عندها فقط رأى امينو، نهض من خلف مكتبه، اقترب من النافذة المطلة على الحديقة وأزاح الستارة.

تابعه أمينو بنظراته صامتاً ومرتبكاً.

نظر سيادة السيد المدير إلى الشجرة الصغيرة التي رفرف على سارية بالقرب منها علم البلاد. كان من الممكن أن تذبل تحت أشعة الشمس المحرقة منذ زمن بعيد، لولا سقايتها ورعايتها يومياً من قبل هذا البستاني العجوز. لكن تعيش البلاد الآن كلها حالة شح في الماء: طال فصل الجفاف وغدت مياه الشرب غير متوفرة. لذا لم يخطر ببال أحد الآن سقاية الأشجار.

ألقى نظرة على الشجيرة.. سحب الستارة ثم التفت إلى أمينو.

ـ شجرة المحافظ تموت.. قال مثبتاً نظراته على البستاني المسكين، ورن في كلماته شيء آخر أبعد من تقرير حقيقة بسيطة.

ـ لا يوجد ماء.. الخزانات فارغة.. بدأ أمينو كلامه متلجلجاً ولم يعرف ما يضيفه.

ـ فلتمت عطشاً برأيك إذاً؟ ـ رفع صوته مهدداً.

«هل تأمر أن أسقي من دمي هذه الشجرة اللعينة؟ ـ قال البستاني في نفسه متألماً في أعماقه. ـ أنت بنفسك اتصلت بمصلحة المياه وأمرت بإقفال كل المضخات والانتظار حتى بدء موسم الأمطار، لأن الأنهار جفت ويتهدد البلاد جوع..».

هدر صوت المدير فوق رأسه:

ـ بعد أسبوع سيزورنا المحافظ. ولن يدخر وسعاً في التعرف عن قرب على حياة الشعب البسيط وأحواله. وهكذا إذا ما ماتت الشجرة خلال هذين الأسبوعين ستطير من عملك. هل فهمت؟

«لم يبق سوى أن أفقد عملي، هذا أصعب شيء». ارتفعت الغصة إلى حلقه، لكنه تماسك: «لن يرى دموعي هذا الغر المغرور الذي هو بعمر أولادي».

وعندما خرج من المكتب سمع المدير يردد في إثره: «تذكر إذا ما ماتت هذه الشجرة، ستطير من عملك». رن هذا التهديد في أذنيه لفترة طويلة، وبقيت صورة المحافظ، وهو محني الظهر يشارك في غرس الشجرة لدى وضع حجر أساس هذا المجتمع الحكومي الجديد، تلوح في مخيلته.

انزرعت في ذاكرة أمينو هذه الحادثة إلى الأبد. كانت الساحة التي تقوم عليها الأعمدة والجدران الاسمنتية البيضاء غاصة بالناس الذين جاؤوا من بعيد لاستقبال حكام البلاد. وكان أمينو واحداً من هذا الحشد البشري الضخم. مازال يذكر المحافظ في بزته العسكرية محاطاً بجنود مدججين بالسلاح، لم يخطر ببال أمينو في ذلك الوقت أنه يمكن أن يكون بستانياً في هذا الموقع.

ـ ستكون وحدك مسؤولاً عن هذه الشجرة ـ قال له المدير محذراً عندما باشر عمله. في الماضي كان كل شيء على ما يرام ـ كبرت الشجرة وبدت على الدوام خضراء ريانة العود. لكن فصل الجفاف طال كثيراً هذا العام، وهاهي تموت الآن ويموت معها أمينو ـ سيلقى به في عرض الشارع..

رجع إلى بيته الطيني الأشبه ما يكون بالكوخ، يثقل كاهله الحزن والتشاؤم. كان التهديد يرن في إذنه، ويجف قلبه لدى التفكير في احتمال طرده من العمل. أحست (أم أولو) زوجة أمينو على الفور بحالة زوجها غير الطيبة ـ رأته يبعد من طريقه بقرف أطفاله الذين فرحوا بعودته وتعلقوا بثيابه ـ وعرفت، من خلال تجربتها الطويلة معه، أنه من الأفضل ألا تسرع في الاستفسار وطرح الأسئلة.

في أثناء الغداء حاول أمينو جهده إخفاء قلقه، تظاهر بالرضا والاطمئنان، لكن بعد الغذاء وانصراف الأطفال جلست ام أولو قرب زوجها، وسألته عن سبب قلقه وانزعاجه.

ـ لكنك تستطيع نقل الماء من البيت.. قال الزوجة بعد أن أصغت لحديث زوجها حتى النهاية.

ـ من البيت؟ أعاد أمينو السؤال مبدياً دهشته من مثل هذا الاقتراح.

ـ وما الغريب في الأمر؟

ـ نحن أنفسنا ليس لدينا ما نشربه.

ـ لكن إذا خسرت عملك سنموت من الجوع ـ لا تهتم أنا سأكون مسؤولة عن تدبير ماء الشرب للأطفال.

كان الناس ينظرون بدهشة للرجل العجوز الذي ينقل جرار الماء على كتفه عبر الشارع الرئيسي: هل جن الرجل، أم أنه يتظاهر بالغباء والاستهتار؟ لكن أمينو لم يعر اهتماماً للنظرات المستنكرة. ـ استمر في السقاية وشعر ببعض الارتياح: برز أمل في إمكانية انتعاش الشجرة. حتى نهاية الأسبوع كان الناس قد اعتادوا على مرأى الرجل حامل الجرة، ولم يعد يلفت أنظارهم. لكن، ورغم التضحية والعناية المبذولة، ذبلت الشجرة، لم تُجدِ السقاية بعد أن تشققت التربة وصار الماء يغور في الشقوق بعيداً دون ملامسة الجذور.

أدرك أمينو، عندما استدعاه المدير مرة ثانية، أنها الجولة الأخيرة، لكن كان واثقاً أنه فعل كل ما كان ممكناً من أجل إعادة الشجرة إلى الحياة، وأن لا ذنب له في شح المطر. صعد العجوز على الدرج، وقد عزم على قول الحقيقة مباشرة من دون مواربة، وليكن ما يكون.

قرع الباب بقوة، وفتحه من دون انتظار السماح له بالدخول. لم يكلف نفسه في هذه المرة حتى عناء خلع حذائه أو نفض الغبار عنه. «في النهاية الغبار تراب ورفات بشر. وعما قريب ستذهب كل حياتي هباء وشجرة المحافظ كذلك. لكن لماذا تحاول السلطات المسؤولة أن تمرغني بالتراب قبل أن يحين أجلي في الرجوع إليه؟». ازدحمت الأفكار في رأسه وشعر بالضياع..

عندما دخل كان المدير، كما في المرة السابقة، يتطلع عبر النافذة كما الاقطاعي الذي يلقي نظرة على أملاكه، لكن بدا غير مسرور الآن.

كانت العواصف الرملية تهز الشجرة وتسقط أوراقها واحدة إثر أخرى، ومع كل ورقة ساقطة يزداد غضبه. «هذه ليست المصيبة الكبرى، ثمة ما هو أفظع منها (أراد البستاني العجوز أن يقول له) اخرج من مكتبك وانظر ما يحصل حولك: البلاد تموت من الجفاف».

لكن لم تتح له فرصة النطق بكلمة.

حوّل نظره عن النافذة واستدار ملتفاً إلى أمينو. كان وجه أحمر طافحاً بالغضب، ونظرته خارقة كالنار التي تلتهم العشب اليابس.

ـ الشجرة تموت، وغداً سيصل موكب المحافظ.. لقد حذرتك قبلاً. هددتك بالطرد، وكن على ثقة أني سأكون عند كلامي. هل فكرت أن تقضي علي؟ كيف يمكنني تقديم مطالب واقتراحات إلى المحافظ في حين يرى شجرته تموت؟ لقد سودت وجهي ونزعت سمعتي. لكني سأريك.. سأمسح بك الأرض.

في تلك اللحظة قرع الباب، دخل الحاجب وبيده مغلف. كان على ظهر المغلف وبخط عريض خاتم «سري للغاية». ما إن لمح المدير هذه العبارة حتى أسرع في فتح الرسالة. كان الجو قد أظلم بعض الشيء، فخطا باتجاه النافذة وأزاح الستارة، أجال نظره عبر الأسطر القليلة.. تأفف وألقى الرسالة بعصبية على الطاولة. ألقى نظرة على الشجرة ـ كانت غارقة في سديم كثيف، تكاثرت الغيوم وغدا وشيكاً سقوط المطر. ابتعد عن النافذة وجلس على كرسيه.

ـ يمكنك الذهاب ـ قال لأمينو ـ أسامحك هذه المرة، لكن تذكر لاحقاً..

غرقت كلماته في الضجة التي أحدثها هطول المطر. خرج أمينو وهو يفكر ويقول لنفسه: «المطر يعني هموماً ومتاعب جديدة ـ كم من الشقوق في سطح بيته»..

ولم يلاحظ كيف أصبح وجه المدير عابساً مقطباً، عندما أعاد قراءة الرسالة، وأمر من ثم حاجبه إبلاغ رئيس الديوان بإلغاء كل الدعوات الموجهة إلى حفل الكوكتيل على شرف المحافظ.

***قاص وكاتب مسرحي نيجيري، أنهى دراسته الجامعية في بلاده، ثم تابع دراساته العليا في إحدى جامعات كندا.. ينشر نتاجه في الدوريات المتخصصة في نيجيريا. وقصة «شجرة المحافظ» التي نقدّم تعريباً لها إحدى قصص مجموعته «المعجزات لا تحصل فوراً».**

تسريحة الشعر قصة من ألبانيا

اسماعيل كاداريه
ترجمة : عبد اللطيف الأرناؤوط

... لما انعكس ذهب الأصيل الفاتر على أبراج القصور والكنائس في أوائل شهر ديسمبر شرعت «إيغلا» الفتاة الصبية تسرّح شعرها أمام المرآة، واستغرق ذلك من وقتها زمناً طويلاً، حتى أعلنت دقات ساعة أبراج المدينة الخامسة والنصف، ومع ذلك لم تكفّ عن التسريح، وقد فضح ارتجاف يديها الشاحبتين الناحلتين مدى توتّرها؛ إذ يبدو أنها كانت تطمح بتسريحة تليق بها، وراحت تنقل الدبوس المرصّع الخافت بريقه مرّات عديدة فوق شعرها، وقد أجهدها الأمر حتى شحب لون وجهها فبدا أشبه بلون برقٍ يسطع في الحلم، معلناً مدى رهفْها بعد هذا العمل الطويل، في وضعها الصحي المتردّي.

كانت في الثانية عشرة من عمرها، ولم يسبق لها أن بذلت مثل هذا الجهد في تسريح شعرها، أضف إلى ذلك أنها أنهت المرحلة الأولى من معالجة مرض سرطان الدم الذي يتجلى في تكاثر عدد الكريات البيضاء فيه، وانتقلت إلى المرحلة الثانية من المعالجة، وقد أمضت زمناً طويلاً في المشفى.

وبفضل المعالجة الطبية في مرحلتها الأولى، استعادت شعر رأسها الذي سقط بسبب مرضها، ونما مجدّداً، وبدا ناعماً كالحرير، جميلاً، كما كان قبل المرض، غير أن ما تشعر به من سعادة الآن لم يكن يرجع إلى فرحها بشعرها النامي وتسريحه، ولا بسبب مشاعر فتاة في مثل سنها تغالب الموت، وتأمل أن تعشق شاباً أو تقع في حب بريء قبل دنو الأجل؛ بل كان فرحها يعود إلى دعوة وجِّهها إليها طبيبها الذي أشرف طويلاً على علاجها، وكان طبيباً أجنبياً من سكان عاصمة أجنبية، وهو من أعظم أطباء بلده؛ بل أوربة كلها في معالجة السرطان، ومما زاد سرورها أنه أبلغها أن الدعوة موجهة إلى عدد من أصدقائه على شرف تلك المريضة الألبانية الصغيرة.

كان فرحها بالدعوة يقترن بالقلق؛ إذ كان يهمها كيف سيبدو منظرها أمام المدعوين من رجال ونساء، وقد تصورتهم يجلسون على أرائك واسعة يتجاذبون أطراف الحديث بطلاقة كما في الأفلام السينمائية.

ومع أنها تدعى «إيغلا»، غير أنها تقدر أن المدعوين سينادونها بالألبانية الصغيرة، فكانت تردد هذا التعبير بلغتهم الألمانية: (die Klcine albaner.....) وتنغمه بلهجات مختلفة، ونطق متباين كما سمعته من طبيبها ومساعدته والممرضات ومختلف العاملين في المشفى، وهم يتبادلون الحديث في أثناء الفحوص والمشاورات الطبية.

وقد لاحظت إيغلا أن هذا التعبير يثير لدى الأناس ضرباً من الفضول حين كانوا يتحدثون إليها أو يرمقونها.

وقد بدأت إيغلا تتعلم بضع كلمات من الألمانية من هذه المخالطة، فإذا شق عليها فهمَ ما يقولون، كانت تدرك بغريزتها أنهم يتحدثون عن مرضها، حتى أصبحت تميز بين حديثهم عن مرضها وحديثهم حول الشؤون العادية.

وتنبه الطبيب والمرضى والآخرون إلى أن المريضة أصبحت تفهم الألمانية، فكانوا يتفادون في مشاوراتهم الطبية الحديث الصريح الذي يمكن أن تفهمه، ويموهونه بتعابير ورموز مستمدة من لهجاتهم المحلية، أو من المصطلحات الشعبية المستمدة من لغات أخرى، لكنها مع ذلك كانت تفهم حوارهم، فلم تحل تلك التعميات بين الفتاة وإدراك مراميها.

وقد لمست أن اسم وطنها يثير لدى هؤلاء الأجانب الفضول، فبعضهم فطروا على حسن الطوية، وبعضهم يتبدى الحياد وعدم الاكتراث حين سماعه، وبعضهم تظهر على سماته الكراهية وسوء النية.

وكانت حين يلفظون تعبير «الفتاة الألبانية» أو يسمعونه؛ تركز انتباهها على ردود فعلهم لتلتقط من بريق عيونهم الزرقاء، وشكل شفاههم حين يلفظونه وملامح وجوههم مايكمن وراء فضولهم من عطف أو حياد أو كراهية، فيخالجها الفرح أو اليأس أو الحزن حيال كل ردّة فعل».

وكانت تدرك أنها أصغر من أن تفهم كنه أسباب كره أهل هذا البلد أو ذاك أو ازدرائهم أو لا مبالاتهم، وقد قال لها خالها قبل سفرها إلى الخارج: إنَّ أهل البلد الذي تسافر إليه يحترمون بلدها لأنه بلد اشتراكي، لكنه عدل عن رأيه بعد أيام، فوجهها إلى أن بلدها مكروه في ذلك البلد لا لذنب ما سوى أنه بلد اشتراكي.

وظل قلقها لمعرفة سبب كره هؤلاء الأجانب لبلدها أو حبهم إياه يعذبها في مغتربها، لكنها كانت تدرك شيئاً واحداً هو أن هؤلاء ينظرون إلى بلدها من خلال منظرها، بل هو العامل الأول لتحديد مواقفهم وردود أفعالهم، ففي وهلة السكون التي تعقب مشاهدتهم إياها، كان يدور في أعماقهم صراع بين القبول والرفض، بين حسن التفهم وسوئه، كانت تدرك أن الطريق إلى رضاهم أو رفضهم لبلدها يمرّ عبر أعضاء جسدها، وعينيها وتسريحة شعرها، ولمعان دبوس شعرها الوامض، ولذلك كانت تحرص منذ وصولها إلى هذا الاستنتاج أن تظهر في أجمل صورة، فكانت تمضي وقتاً مديداً أمام المرآة، وتختار ملابسها بدقة، وتسأل الممرضة عن تسريحة الشعر الأليق بها.

ظلت تثابر على ذلك طوال الأشهر الأخيرة، وفي كل يوم من أيام المشفى الرتيبة والباعثة على الحزن، فما بالك بما بذلت من جهد مضاعف لتسريح شعرها قبل الدعوة ظهر أثره شحوباً على وجهها أشبه بشحوب بريق دبوسها حين أقبل الطبيب ليأخذها إلى منزله؟..

شعرت إيغلا بقلق الطبيب، وأصغت إلى ردّ الممرضة على تساؤله عن سبب شحوبها، وفهمت من الردّ أن الممرضة تعلل ذلك الشحوب باسترسالها زمناً في تسريح شعرها لتظهر في غاية الجمال، استمع الطبيب إلى الممرضة، ثم بادر فطبع قبلة على جبين مريضته لتطمينها، وذكّرتها تلك القبلة بقبلة مماثلة رأتها في لوحة من لوحات إحدى المعابر، وكان عنوان اللوحة : قبلة الموت.

- 2 -

والآن، ثمة قبر فتاة ترقد في المقبرة الممتدة غربي مدينة ثيرانا، وفي جواره قبور عديدة متواضعة عليها شاهدات من الرخام أو البرونز، تعرّف بالراحلين من أصحابها، وتمتدح خصالهم وما قدموه من خدمات جليلة للدولة إبان حياتهم، من ضمنهم أعلام برزوا في ميادين العلم والثقافة، وأبطال في مجال عملهم، ورجال خدموا في قطاعات شتى، في الاقتصاد والجيش والسلك الدبلوماسي، وطيارون محترفون بذلوا حياتهم وهم يؤدون واجبهم الوطني - ووزراء مثلوا الدولة في المحافل الدولية... والآن ترقد رفاتهم في أضرحتهم تحت تلك الشواهد...

وقد بدا للعيان أن قبر تلك الفتاة ليس فوقه أي شاهدة، ومع ذلك لا يعدم أي عابر للقبر أن يعرف، إن بحث واستقصى، شيئاً عن سيرة حياتها المتواضعة، والناعمة نعومة سطح الرخام، وأن يتوصل إلى بعض مناقبها التي دونت على شواهد قبور الموتى الآخرين ممن كان لهم في الحياة ماضٍ مجيد..

ومع أن بحثه عن ماضي حياتهم يبدو متعذراً كما يبدو، فليس أمامه آنذاك إلى أن يدوّن عبارة وجيزة تلخص حياتهم العابرة، فحواها:

هذا قبر صبيّة في الثانية عشرة من عمرها

لم يمهلها الموت لتقدم خدمة لبلادها

سوى أن تسرّح شعرها

بعد ظهر يوم من أيام ديسمبر

تحت أصيل شمس غاربة

أعلنت من خلال انعكاسها على معابد المدينة الكبيرة

وقباب قصورها

اقتراب موعد الغروب.

السّيدة لاشيء

يان ريبوفيتش*
ترجمة : نهاد جرد (عن البولونية)

عشرات المرات ظننت أنني قد عثرت على السيدة لا شيء، لكن بعد تعرفي إليها عن قرب، ظهر لي دوماً أنها ليست هي.

أعرف تماماً، كيف تبدو. أعرف كيف تتحرك، كيف تتكلم، ماذا تحب، لديّ أمام عيني صورتها الدقيقة- الحسية والروحية.

مازلت أبحث عنها.

تعرفت إلى لوتسينا، ولكن لم تكن هي! وبعدها كانت ستينا، ثم ماريا، وبوچينا، واليچبييتا، ولكن أية واحدة منهنّ لم تكن السيدة لاشيء.

اعتقدت أن مارتا ستكون هي، ولكن لاشيء من ذلك، هذا أيضاً لم يكن ذاك.

لذا فإنّي أبحث بلا انقطاع عن السيدة لاشيء، وعندي أمل!

أصفها الآن:

طول السيدة لاشيء حوالى مئة وستين سنتيمتراً، هي نحيفة، وضئيلة، ورشيقة، لكن ليس إلى حدّ الغجريات، شعرها أسود، وعيناها ربّما زرقاوان، هي طيبةٌ، طيبةٌ جدّاً، وهذا هو المهم.

السيدة لاشيء لا تغضب أبداً، هي هادئة جدّاً، واثقةٌ ومتزنة، على العكس منّي، لا تطيق النمائم، والوشايات، والحماقات، تفهم أشياء كثيرة، إن ليس كلّ شيءٍ فتقريباً كلّ شيء.

لا تصرخ أبداً إن أُوذيت بطريقة ما، تُبدي مسحة حُزنٍ، ثم تنسحب إلى زاوية، حيث تبكي أحياناً، لا تشتكي أبداً من أيّ شيء، لا من المصير؛ ولا من الرِّجال، تحب الأطفال، وهي بيتوتية، وتحبُّ وتعرف أيضاً الطبخ، هي نظيفةٌ بكل المعاني، تحب الاستقرار والنظام، ومنزلها دائماً وكأنه من تحت الإبرة.

السيدة لاشيء حسيّة جدّاً، وعلى كلّ حالٍ ليست كذوبة، أو قليلة أدب، ليست بغيّاً.

لا تفجر أبداً، وعادة هي جادّةٌ، لكنها مرحةٌ عند الضرورة، ليست ثرثارة إلى حدّ الجنون، تعرف كيف تصمت، لا سيما عندما يكون من الأفضل حقّاً أن تُغلق الأفواه.

لا تعود إلى الماضي بمناسبة وغير مناسبة، لا تسرف في خطابها، ولا تنمُّ، أو تطالب، أو تشاكس.

هي الآن في الخامسة والعشرين، وربما في السابعة والعشرين.

ليست غبية، لكنها ليست متذاكية.

ليست جميلة جمالاً فائقاً كنجمات الأفلام، لكنّ وجهها لطيف، له ملامح مميزة ومليحة،

تتميز بالهدوء، بالهدوء.

ليست خبيثة أبداً، أو طماعة، لا تصرخ بلا انقطاع: أعطني! أو تنادي دائماً: أكثر! ولا تقع فريسة المرض المسمى: مياه غازيّة في الرأس.

تسعد بالقليل، لكنها أيضاً تعرف كيف تتعامل بذكاء مع النقود الكثيرة.

هي وفيّة، تفي بالوعد، ليست منحرفة، أو شمطاء سيئة.

لا تقهقه كالمجانين، وإن ضحكت فإنَّ ضحكتها فيها صحّةٌ، تشرك الجميع، ممتلئة بالفرح والمرح.

مثابرة وشغيلة كالنملة.

لا أعرف أين تسكن السيدة لا شيء، ربما في وارسو، ربما في نيويورك، وربما في باريس، أو في موسكو.

أفكر أحياناً؛ ألا تسكن هنا قريباً في أُستوف، أو خوداكوف، لكنها تسكن في مكانٍ ما، وهي موجودة, هذا ما أستطيع أن أراهن عليه برأسي.

ما أهمية حياتي إذن، من دون تأكّدي العنيد، أن السيدة لاشيء موجودة قطعاً في مكانٍ ما.

لَولا هذا الوعي، وهذا الأمل لكانت حياتي كابوساً لا يطاق، لكانت رعباً.

أقول لكم: إنّ السيدة لاشيء ليست ظاهرة خارقة أبداً.

هي عادية وطبيعية.

ولكن من الصعب أن تكون بالطبع عادية وطبيعية، عادية وطبيعية آخ! كم هذا صعب.

لأنّ الناس يريدون بالطبع أن يكونوا شيئاً آخر غير الذي هم عليه، فخادمة في الثانية عشرة تريد أن تصبح نجمة تمثيل. ونجمة التمثيل في أحيانٍ كثيرة تبدو كأنها تريد أن تكون خادمة في الثامنة عشرة, لاسيما عندما يهاجمها النقادُ كالضّباع لدورها الأخير في الفيلم أو المسرحية الأخيرة.

السيدة لاشيء لا تريد ولم ترد قط أن تكون شخصاً آخر غير شخصها نفسه، هي تريد ببساطة أن تكون نفسها، تريد أن تبقى فقط السيدة لاشيء، وطوبى لها على هذا.

هذا صعب جداً، أن يقبَل المرءُ نفسه (نفسه بنفسه) وأن لا يتشكّى دائماً من مصيره، وأنه لم يمنح سوى ذاك الذي هو عليه، أو ما هو فيه، السيدة لا شيء تقبل نفسها في كل حال، ومعجبة بوضعها هذا، إنها في الحقيقة لطيفة جداً.

أبحثُ عنها دومًا.

*** يان ريبوفيتش: شاعر وناثر بولوني، ولد عام 1949في مدينة كوجلا في منطقة لوبلين، حصل المعارف بنفسه، عمل في مهن عديدة عاملاً على الأغلب، نشر أولى مجموعاته القصصية بعنوان (التحكم الذاتي، وقصص أخرى) سنة1980، ومجموعة شعرية بعنوان (ربما) عام 1980، و في الأعوام التالية نشر عدداً من الكتب منها (أشعار عام 1985، و (قصص أخرى)عام 1986.**

ترجمت أعماله القصصية إلى لغات عديدة: الانكليزية، الفرنسية، الروسية، الألمانية، السلوفينية، التشيكية، الصربية. و هذه القصة من مجموعته (في انتظار بيكيت) و قد نشرها في مجلة الآداب(Literatura) البولونية عام 1987 العدد 8(59) قبل ظهورها في منشورات(Widawnictwo Łódzkie) في مدينة ووج.

سارقة البيض

جوزفينا كوتور
ترجمة : حسام الدين خضور (عن الانكليزية)

تعمل جوزفينا كوتور على مسائل الجنوسة Gender في البنك الدولي. هي من أصل بوسني، تخرجت من جامعتي ستانفورد وهارفارد. تعيش حالياً في الولايات المتحدة، وتكتب مجموعة من القصص القصيرة، تعكس حياة المهاجرين البوسنيين.

لم تستغرق ميرا إلا دقيقة واحدة لتركض إلى قن الدجاج وتنتزع بيضتين وضعتا حديثاً، وتتجنب الدجاجات التي كانت تقرق ذلك الوقت وتقفل راكضة إلى المطبخ. كان ذلك عملاً روتينياً حسنته أكثر فأكثر مع الوقت، تمارسه كل صباح عندما يكون العم ماركو والعمة سلافيكا خارج البيت. وكانت حالما تحضر البيضات، تخفقها وتضيفها إلى خليط من الكعك أو العجين من أجل شطيرة كرز، وتزدرد طعامها سريعاً، ثم تغسل الأطباق وتفتح النوافذ لتتخلص من رائحة الطبخ وتزيل كل أسباب الشك بها. ومن حين إلى آخر، عندما لا تكون جائعة، كانت تخبئ البيضات في خزانتها، لتأكلها في ما بعد. وعلى الرغم من أنها اعتادت سرقة البيض، فقد كانت يداها ترتجفان وجبينها يتحبب عرقاً كلما استطاعت النجاة من قن الدجاج.

وصلت ميرا إلى منزل العم ماركو في أوج حرارة تموز التي سفعت سهول إقليم فوجفودينا في صربيا، ولوّنت محاصيل الذرة باللون الأصفر. كانت تشد على جزدانها بقوة، عندما ترجلت من باص بانجا لوكا. كانت البلدة التي هربت منها تعج باللاجئين. وقد وضعت سلطات بانجا لوكا نحو مائتي لاجئ من بلدة ميرا في ملعب مدرسة ثانوية حتى تقرر ماذا تفعل بهم. وفرش والدا ميرا بطاطينهما تحت طارة كرة السلة، حيث ناما وأكلا الخبز والجبن المخصص لهما.

في البداية، اتسم سلوك الناس في الملعب بالحذر من فعل أي شيء محرج أمام أصدقائهم وجيرانهم. غير أنهم سرعان ما تحرروا من ذلك الحذر، فتشاجر الأزواج، وهذر الرجال المخمورون بكلمات شنيعة، وهم يدلفون عائدين إلى أمكنتهم ليلاً. وكان أحدهم يدوس على بطانية ميرا في الطريق إلى المرحاض.

في إحدى الليالي، همست أم ميرا لها: «أنا وأبوك متقدمان في السن، وسوف ننتظر ما ستؤول إليه الأوضاع هنا. أما أنت فلست مضطرة للبقاء.»

سألت ميرا: «أين أذهب؟»

«العم ماركو في فوجفودينا رجل طيب. سيعتني بك.»

عندما وصلت ميرا إلى منزل العم ماركو، أعطاها غرفة الضيوف الكبيرة مع الشرفة. فأمضت الأسبوع الأول تتجول في الجوار، وتحدق في وجهها بمرآة يدها. وقد أجفلتها العينان اللتان حدقتا إليها. بدتا مثل عيني غريب، وهما تحدقان في وجهها بين جدائل شعرها المخضبة بالحناء.

كان العم ماركو يقول: «سينتهي كل هذا الجنون قريباً، وسنحتفل معاً.» «ويخبرها عن الأيام التي كان فيها وأم ميرا طفلين يأخذان الخراف إلى الرعي في هضاب قريتهما البوسنية الصغيرة. كان هذا قبل أن ينتقل العم ماركو إلى فوجفودينا عام 1963 من أجل البحث عن فرصة عمل أفضل.

عمل العم ماركو في تلك الأيام ميكانيكياً في معمل سيارات تملكه الدولة. ولكن، كما قال، لم يتمكن راتب الدولة الاشتراكية من دفع نفقات سهرة لابنه مع صديقته. وكان طموحه دائماً أن يبني منزلاً أبيض كبيراً. كان الجميع حوله يبرمجون أعمالهم لتلبي زراعة الذرة أو تربية الخنازير، أو يبيعون المعجنات في السوق، بالإضافة إلى عملهم النظامي في مصنع السيارات أو معمل الفولاذ. وقد بدأ العم ماركو عمل تربية الدواجن. فبنى قنّاً في فناء منزله الخلفي، واشترى عشرين دجاجة، تبيض كل منها بيضة في اليوم. وحقق عمله نجاحاً كبيراً إلى درجة أنه خلال أربع سنوات شيَّد منزل أحلامه. كان هو وزوجته يبيعان البيض الأصفر الكبير في منزلهما، وينتفان الدجاجات النافقة لبيعها في سوق الأحد. وعلى نافذة بيته المطلة على الشارع، برزت هذه اللافتة: «بيض طازج للبيع ـ ادخل من فضلك.»

كان معظم زبنه من الجيران الذين يترددون بانتظام. كانت النساء يرسلن أزواجهن بعد العمل لشراء دزينة بيض من ماركو. وكان العم ماركو يدعو بعض زبنه للبقاء وتناول فنجان قهوة تركية، تلك التي كانوا يتناولونها في فناجين ذات زهور صغيرة ملونة، في الحديقة، تحت شجرة قيقب. وكان العم ماركو والعمة سلافيكا يعدان البيض في غرفة الخزن كل مساء، وكان لديهما دفتر ملاحظات بني، يدخلان فيه أرقام إنتاجهما ومبيعاتهما اليومية، ويضيفان الأرباح.

كان منزل العم ماركو يُقصَد في الأماسي لسماع نشرة الأخبار، التي لم يكن مسموحاً لأحد أن يتكلم خلالها. وكانت مذيعة الأخبار ذات الشعر الصقيل تعلن الأرقام الأخيرة لإصابات المسلمين والكرواتيين. وكان رئيس البلد ذو الوجه المنتفخ والرقبة الكبيرة يظهر على الشاشة أحياناً، فيشجب عدوان الكرواتيين والمسلمين في خطبه، ويمتدح شجاعة الصربيين. توقع الجميع أن تبقى ميرا مع عمها لبضعة أيام وحسب، حتى يهدأ القتال في البوسنة. غير أن الأيام انقلبت إلى أسابيع والأسابيع إلى شهور. وفي أحد أيام الأحد، أبلغت العمة سلافيكا ميرا أن عليها أن تعيد ترتيب غرفة الضيوف الكبيرة وهي تُطرق في السجادة، وقالت: «يمكنك أن تنتقلي إلى غرفة الخزن القديمة،» قبل أن تضع قبعتها وتذهب للصلاة في الكنيسة يوم الأحد.

كانت الغرفة الجديدة تتسع لسرير وخزانة، وكان باستطاعة ميرا إذا تسلقت على السرير ومدّت رقبتها، أن ترى من النافذة الصغيرة فناء المنزل.

كانت ميرا معروفة في أسرتها بحبها للكعك والبقلاوة. لم تقل عمتها وعمها في البداية أي شيء، لكن ميرا كانت تسمعهما أحياناً يتهامسان عن بدانتها ونهمها، وفي ظنهما أنها لا تسمعهما.

وذات مرة، عندما أضافت ميرا ثلاث ملاعق من السكر إلى القهوة كالمعتاد، قالت العمة سلافيكا: «في الحقيقة يجب أن تضبطي نفسك مع السكر. تعلمين جيداً أننا في أوقات أزمة. والسكر غالٍ جداً.» وذات مرة أيضاً، ذهب العم ماركو إليها في المطبخ في منتصف الليل، وكانت تعد سندويشة لحم، وقال لها: «نعيش في أوقات صعبة. ولا تحتاجين إلى أن تأكلي أشياء مترفة، مثل اللحم.»

«إذن ماذا آكل؟»

في الخارج، لدينا حديقة جميلة مليئة بالملفوف. وكل ما عليك عمله هو ألا تجلسي على الصوفا كل الوقت. إذا حركت نفسك، يمكنك أن تجمعي كل يوم ما يكفي لوجبة مغذية. ينبغي أن نستفيد منه قبل أن يفسد. لا تفكري بأن نتلف كل ذلك الملفوف، سيكون ذلك عاراً.»

أخذت خيارات طعام ميرا تتضاءل بسرعة. فعندما وصلت إلى صربيا، كانت تستلم شهرياً مجموعة طعام الطوارئ من الصليب الأحمر. وكان يُفترَض أن تحتوي على الجبنة السويسرية والدقيق والحليب المركَّز والصابون وعلب لحم بقر أمريكي محفوظ. لكن مع الوقت بدأت جعالتها، التي تستلمها من مسؤولي الصليب الأحمر، تفقد الأشياء الجيدة. وكان كل ما تبقى منها علباً عدة من لحم البقر الأمريكي ذات المظهر المثير للريبة. وقد شاهدت ميرا في سوق الأحد النساء يبعن جبن الصليب الأحمر المعلب جيداً والدقيق. وتساءلت عما إذا كان هذا الجبن هو من حصتها، وفي مناسبات عديدة كان عليها أن تمسك نفسها عن شتم البائعات أمام جمهور السوق، وتبتعد صامتة. وفي السوق كان أبناء الغجر يقطعون عليها الطريق، ويمدون إليها أيديهم الموحلة. لم تستطع ميرا أن تحتفظ بالنقود لهم، فقد أنفقت كل مدخراتها خلال شهرين من إقامتها في فوجفودينا.

في البداية، ابتعدت ميرا عن طعام العائلة، وحاولت أن تعد وجبات من الملفوف وتحضر أنواعاً مختلفة من حساء الملفوف، أو الأرز بالملفوف، أو الأرز مع البطاطا. ولم يكن ذلك سهلاً. وكانت العمة سلافيكا، في أيام الأحد، تعد خبز البطاطا وكعكات اللوز، التي تنتشر روائحها إلى كل زاويا المنزل، وتضع أحياناً كعكة على طبق أبيض وتقدمه لميرا، لم تكن تخفف من جوعها. ثم اتسع بنطلونها الجينز حول خصرها.

عثرت ميرا ذات ليلة على محطة راديو سيراجيفو وهي تدير مؤشر راديو الترانزستور في غرفتها. وأخذت تضبط استقبالها كل يوم منذئذٍ، حريصة على أن تبقي الصوت منخفضاً. وكان عرض المساء يعلن قائمة طويلة من الأشخاص المفقودين، وتلاحظ أن الناس يؤكدون أن الأقارب لا يزالون على قيد الحياة. ولم تتطابق الأحاديث عن ساحة المعركة في محطة سيراجيفو مع ما كانت تسمعه في عرض أخبار الصربيين المسائية. ولم تعد تعرف من تصدق.

قررت ميرا أن تسرق بيضتها الأولى في أحد صباحات شهر آب الأخيرة، عندما أيقظها عراك في قن الدجاج. كان قن الدجاج مكاناً خطراً. وكان العم ماركو يقتر في إطعام الدجاجات إلى الحد الأدنى الضروري لإبقائها تضع البيض. وقد هاجمتها دجاجتان هزيلتان حالما دخلت القن. لكنها استطاعت أن تنتزع بيضتين وتخرج مسرعة، مع بضع خدوش على يديها. كانت تسلق البيضتين وتأكلهما بمتعة، ثم ترتاح تحت شجرة القيقب، وتشعر بامتلاء معدتها، وتذهب بعد الظهر إلى المدينة لتبحث عن عمل. فتسير إلى مخازن البقالية المحلية والمطاعم، وتسأل عما إذا كانوا بحاجة إلى عمل إضافي، كانت تريد أن تعمل أي شيء؛ تغسل الصحون أو تمسح الطاولات. لكن أحداً لم يُرِد أن يستخدم لاجئة بوسنية في عمر الخامسة والثلاثين من دون رخصة عمل. لقد بحثت كثيراً بلا طائل.

تسلل شهر أيلول إلى إقليم فوجفودينا جالباً معه الأمطار التي جعلت نهر الدانوب يتدفق غزيراً، ويجبر الناس على وضع الحواجز الرملية أمام منازلهم لتمنع الفيضان. وفي سوق الأحد، سمعت ميرا أنه قد أعيد توطين الناس من بلدتها في منطقة صربية آمنة داخل البوسنة. ثم قابلت صديقاً قديماً من بلدتها، قال لها: «جئت من هناك، والسير في تلك المنطقة مثل السير عبر الفناء الخلفي للبيت. الجميع هناك.»

وعندما سمع العم ماركو الخبر قال: «يعني ذلك أنك ستعودين قريباً.»

ردت ميرا: «لست متأكدة. لا تزال الطرق خطيرة، ولا أدري إذا كان الباص يذهب إلى هناك.»

لم تنم ميرا تلك الليلة. وعندما رن الهاتف في الصباح مع صوت أمها على الطرف الآخر من الخط، أخذت قرارها. قالت أمها: نحن أحياء وبصحة جيدة. نعيش كالغجر. أنا أرتب المنزل الذي قدموه لنا، أما أبوك فيظل جالساً أو يدور حول البيت ويتطلع إلى السماء مثل دب جبلي في الشتاء.

لم تنتظر ميرا عمها ليعود من العمل للبدء بحزم أشيائها. كان لديها القليل من الأشياء. بناطيل جينز عدة وقمصان وصورة صغيرة لوالديها، مأخوذة قبل سنوات خلال عطلة صيفية في البحر الأدرياتيكي. كانت حقيبتها خفيفة.

لم تلاحظ، إلا بعد أن حزمت أمتعتها وسوّت المخدات على سريرها، كومة من البيض في زاوية الخزانة. فقد كدست هناك نحو دزينة من البيض، وكل بيضة شهادة على سرقاتها من قن الدجاج. غدت البيضات التي كانت بحاجة إليها شيئاً بغيضاً عندئذٍ. لم يكن لديها الوقت لتأكلها، ولم تعرف ماذا تفعل بها. وبينما كانت تخرج جزدانها من الخزانة وقع من يدها وكسر بيضة، خلف صفارها بقعة على السجادة ورائحة كريهة ملأت الغرفة. كانت قد وضعت البيضات هناك، منذ أسابيع، وفسدت.

في ذلك المساء حجزت ميرا في الباص إلى البوسنة. كان عدد المسافرين قليلاً، وحظيت بالمقعد الذي اختارته. لوّح لها العم ماركو مودعاً من رصيف المحطة، وفيما انطلق الباص وعبر الجسر الذي يربط المدينة بالطريق العام، فكرت بوالديها والبلد الذي تعود إليه. ونسيت البيض الفاسد المكدس في خزانة غرفة الخزن، في الطابق الثاني، في منزل العم ماركو تماماً.

المالك

بورفيريو ماماني ماسيدو

ترجمة سلام عيد – عن الإسبانية

نبذة عن المؤلف: ولد بورفيريو ماماني سيدو في آركيبا (البيرو) 1963. وهو دكتور بـالآداب في جامعة السوربون. حصل على شهادة في القانون من الجامعة الكاثوليكية في سانتا ماريا, بعد أن اتبع دورات في الآداب في جامعة سان أوغستين في آركيبا. ساهم بقصائد وقصص في العديد من مجلات أوروبا والولايات المتحدة وكندا. ألّف مجموعات شعرية وروايات وقصصاً نُشرت في العديد من البلدان, مثل أصداء الذاكرة (شعر) ليما - البيرو 1988. أبراج الرصد (قصص) باريس 1997, صوت على ضفاف نهر (شعر) 2002, الحديقة والنسيان (روايـة) 2002. ما وراء النهار (قصائد نثرية) 2000. فلورا تريستان, المنبوذة والمرأة الغريبة في أعمالها (بحث). صوت وراء الحدود, 2003. صيف بصوت عال, 2004. قصيدة إلى غريبة 2005. قبل النوم, 2006. المجتمع البيروفي في أعمال خوسيه ماريا آرغيداس (الثعلب الأعلى والثعلب الأدنى), ليما 2007. تقديم المجتمع البيروفي في القرن العشرين في أعمال خوليو رامون ريبيرو, باريس 2007. وقد حملته مسيرته التدريسية ليعطي دروساً في الجامعات الفرنسية.

ظلّ أونيل صامتاً, يحدّق في قدميه العاريتين المعفّرتين بالغبار لكثرة ما مشى. لعلّه لم يكن يفكّر في شيء, لكنّه نظر إلى قدميّ الرجل الذي كان يعبر الباب. لعلّ ذلك كلّه حلم أو خطأ من رجل الباب, لا خطأ أونيل, فقد كان عائداً ببساطة إلى منزله حيث غرس في طفولته شجرة صنوبر, كما لو كان الأمر لعبة لا تحدياً.

أجّروني إيّاه – قال الرجل-, لم أستطع شراءه إلاّ بعد ذلك. اضطررت لبيع كلّ ما كنت أملك وما كانت زوجتي تملك أيضاً.

كان أونيل ينظر إلى زوايا البيت شبه المهجور. فيستحيل أن نعرف فيما كان يفكّر أو فيما كان يجعله يفكّر كلّ ظلّ, أو كلّ قطعة جدار, أو الباب, أو النوافذ التي كانت مفتوحة في ذلك الوقت.

أجّروني إيّاه – قال الرجل مرة أخرى.

ظلّ أونيل يحدّق بالباب الخشبي بحنان لا يمكن فهمه, كان وكأنّ عينيه ستخرجان من محجريهما. لم يكن يبكي. لم تكن في عينيه ضغينة, ربّما كان ينظر وهو يتذكّر صورة أو التفاتة من والدته. لعلّه كان يودّ لو يرى والده يدخل من الباب, لكن لا شيء. لم يكن يسمع إلاّ صوتَ غريبٍ يكرّر عليه الشيء نفسه منذ وصوله.

كان عليّ أن أبيع أشيائي – قال الرجل.

لا شيء مما كان ساعد أونيل على أن يتذكّر؛ وحدها الجدران والنوافذ والباب لم تتغيّر كثيراً. الزاوية حيث كان والده يجلس ليقرأ الصحيفة, كانت هناك؛ لكنّه كان يتطلّع إلى فراغ هائل, وفي تلك الزاوية كأنّما كانت تتركّز اللانهاية, بداية كلّ شيء ونهايته.

لم يهدوني شيئاً – قال الرجل.

رغب أونيل في أن ينهض ويلقي نظرة على المطبخ, على الحديقة, هناك حيث أمضى ردحاً من طفولته؛ أن يصعد إلى السطح لينظر ما إذا كان لا يزال يُرى ما كان يراه هو, لكن لا شيء. بقي معلقاً نظره على صدع في أحد الجدران يصل إلى السقف الذي اسودّ تقريباً من الفضلات التي تركها الذباب.

هذا بيتي – قال الرجل.

اتسع الشقّ قليلاً. لعل السقف كان يرشح حين تمطر كما من قبل. أغمض أونيل عينيه لينسى ما لا يمكن نسيانه. لعلّ من الأفضل الرحيل وعدم المطالبة بشيء, ولا حتّى العودة لرؤية تلك الجدران أو ذاك الشقّ الذي كان هذه المرّة ينظر إليه هو؛ كما لو كان يريد التهامه. كانت مقاومة أونيل الوحيدة في أن يحوّل نظره نحو نقطة أخرى, نحو فراغ مطلق لا يرتدّ عنه شيء.

هذه هي أشيائي – قال الرجل – كلّ ما اشتريت بعرق جبيني. اضطررت لأن أعمل كبغل ليكون لي هذا كلّه.

لم يكن هذا الصوت يصل إلى وعي أونيل. وربّما ما كان ليدرك حتّى وجود ذاك الرجل الذي يحاول أن يفسّر له وجوده. كان صوت يُسمع, صوت آخر أبعد وأعمق, صوت كان الهواء يحمله بثقل. وأحياناً كان أونيل ينظر إلى يديه كما يُنظر إلى الحجارة, كما يُنظر إلى الغبار الذي لم يهتمّ أحد بإزالته من وقت لآخر عن أثاث بيت مهجور.

كان المساء يحلّ فيغرق كلّ شيء في ظلال مطفأة, شائخة, مُنتجِعة. كانت عينا أونيل ويداه تبدو وكأنّها تشيخ مع حلول المساء. بقي الرجل ملتصقاً بكرسيّه وكأنّه غرض آخر في ذاك الجو الذي لا يُدحض. أحياناً كان يصل عبر النافذة ضجيج غريب من الخارج.

لقد اشتريته – قال الرجل بصوت من زجاج.

لم يقل أونيل شيئاً. كان عالمه هناك, لكن وفي مكان آخر أيضاً, في مكان غير محدّد. لعلّها نظرته وحدها ما كان يوجد حقاً فيه. ولا حتّى ذاك الظلّ الثقيل كان ليظهر أنّه ينتمي إليه. كان كلّ شيء هناك هادئاً وصاخباً كهذيان لا تفسير له. لم يكن الزمن ولا الظلّ ولا الرجل الذي يحارب وحده؛ كانت الجدران, والبيت وأيضاً الذاكرة التي تبقيه حبيس متاهةٍ.

لم يعطوني شيئاً – قال الرجل – فقط أجّروني المنزل ونقطة, واشتريته حين جمعت المال الذي طلبوه لأجله.

أصدر أحدهم ضجيجاً خلف الباب. لم يتحرّك أونيل ولا الرجل. لم يفاجئ الضجيج أياً منهما, كما لو كانا معتادين سماعه. كانت يدا أونيل وسختين أحرقتهما الشمس كوجنتيه اللتين تلمعان في انعكاس الضوء. كان التعب يسم وجه الرجل, فالحياة تحرث الإنسان البائس وحده.

لاح صمت أونيل وصوت الرجل وكأنّهما يغرقان في كتلة هواء غريبة تخترق جدران المنزل. لم يكفّ أونيل عن النظر في زوايا المنزل, فربّما هناك بقيّة من غبار الزمن الذي تذكّره به تلك الجدران. لم يختلط شيء في ذاكرته. بدا وكأنّه يراقب كلّ شيء من مكانه.

أجّروني إيّاه – قال الرجل مرّة أخرى.

لم يشرب أيّ منهما الماء الذي وضعه الرجل على الطاولة حين دخل أونيل. كانت الظلال التي تدور وتكبر ببطء, الشيء الوحيد الذي تحرّك فعلاً في البيت حتّى تلك اللحظة.

العقد معي, سأريك إيّاه – قال الرجل من غير أن ينهض.

هذه المرّة تفرّس أونيل في وجهه وكأنه يبحث عن شكّ أو كذبة في ملامحه, لكنّه لم يجد شيئاً, لم ير سوى وجه رجل شائخ.

لا أكذب عليك – قال الرجل.

كان وقت المساء ينفد عبر النافذة المفتوحة. وأحياناً كانت الريح تعصف بقوّة وتؤرجح المصباح المُدلى من السقف. ومرة أخرى دخل الضجيج ليعكّر صفو الصمت السائد بين الرجلين وظليّهما. هذه المرّة نظر أونيل صوب النافذة المفتوحة, لا بسبب من الضجيج بل ربّما بسبب من الهواء البارد الذي راح يدخل إلى المنزل. ولم يكن الرجل ينظر إلى النافذة بل إلى أونيل وهو يحكّ لحيته الطويلة. لم ينتبه الرجل إلاّ في تلك اللحظة إلى أنّ أونيل لم يكن يهتمّ بكلّ ما كان يقوله. كما لو أنه لم يكن هناك. كلّ ما كان أونيل يفعله هو أن ينظر وربّما يتذكّر عالماً آخر, ذاك العالم الذي دفنه الزمن, الذي هو الماضي. وحين كفّ أونيل عن النظر إلى النافذة باغت الرجل وهو ينظر إليه, فاضطرب الأخير كمن قُبض عليه متلبساً. لم يقولا شيئاً, كادت نظرتاهما تلتقيان وتابع الليل هبوطه.

هذا بيتنا – قال الرجل – ولسنا نغتصب شيئاً.

تغيّر شيء على أونيل, لكنّه لم يعرف ما هو. كان يشعر بذلك كلّما نظر عبر النافذة. لم تكن رائحة المنزل, لأنّه منذ أن دخل, دخلت أيضاً رائحة غريبة كانت تنتظره خارجاً منذ الأزل. وإن كان أونيل غريباً على الرجل فهو ليس بالغريب على المنزل. وربمّا كان أونيل الناجي الوحيد الذي كان المنزل ينتظره قبل أن ينهار.

ومرّة أخرى بدا أنّ الضجيج يدخل إلى المنزل ويخرج منه بغرابة. وراح الرجل يسعل فجأة وكأنّ شيئاً يحاول خنقه. نظر أونيل إليه وهو يعارك السعال من غير أن يقول له شيئاً. وحين وقف الرجل, مدّ أونيل له يده ووضعها على كتفه كي لا يقع أرضاً. بعد أن توقّف الرجل عن السعال لم يعد أيّ منهما للجلوس, فربّما استشعرا سوء طالع. صبّ الرجل كأساً من الماء وشربها دفعة واحدة. ثمّ ترك الكأس على حافة الطاولة من غير أن ينتبه إلى أنّها قد تسقط مع أقلّ حركة. ظلّ أونيل واقفاً ويداه في جيبيه, ينظر إلى الباب الذي تأتي منه الضجّة.

ليس ذلك ممكناً – قال الرجل.

كانت الظلال التي لا تُحصى قد اندمجت مع الظلمة الوليدة. وظلّت نظرة أونيل تائهة في زاوية غير محددة من المنزل. لم تكن لا الظلال ولا الضوضاء بل خطوات أونيل التي تنتقل حتّى باب المطبخ. بدا وكأنّ جوّ الغرفة الساكن لم يعد يعنيه, فرغب في أن يرى أو يتذكّر أشياء أخرى, الجدران الأخرى, الجدران الأخرى التي كانت جدران الغرفة تخفيها.

ليس ذلك ممكناً – قال الرجل من جديد.

عاد أونيل من المطبخ وقد تجعّد جبينه وكأنّه رأى الموت. ما رآه كان الأشياء غير المرتّبة في مطبخ نصف مهجور. لا شيء مما فيه ذكّره بالماضي أو بشيء كان يبحث عنه, شيء كان هو أونيل يتوق إلى أن يعثر عليه بسرعة, شيء قد يكون مختلطاً مع كلّ الغرابة التي تملأ المطبخ أو المنزل.

هذا بيتي – كان الرجل يقول فيما يتفحّص أونيل كلّ شيء.

وحين انتهى من زيارة المنزل, بدا أونيل كمن عثر على ما يبحث عنه. حدّق إلى الباب الذي كانت الحدوة معلّقة تحته. لم تكن هناك حاجة إلى فعل أو ابتكار أمر آخر. كلّ شيء واضح في ذهنه.

لا أستطيع الرحيل – قال الرجل وهو يرجع إلى الوراء قليلاً.

تقدّم أونيل نحو الرجل الذي خاف فظلّ يرجع شيئاً فشيئاً إلى أن اصطدم بالجدار المغطّى بغبار أسود. لم يقل له شيئاً, واكتفى بأن مدّ يده نافرة العظم ليأخذ قطعة من الحديد معلّقة بجانب الباب وأخذ الحدوة معها, وابتعد عن المنزل على عجل من غير أن يقول شيئاً للرجل الذي نظر إليه خائفاً وهو يمضي إلى قلب الليل.

حكاية الكذّاب

بيير غريباري
ترجمة : عبود كاسوحة

كان في مدينة فرنسية صبيّ كذّاب، لكنّه كذاب على نحو يصعب عليكم أن تتخيّلوه! فهو يكذب طول الوقت، وفي كل لحظة وبلا سبب.

هنالك أطفال يكذبون بدافع من جبنهم، ليتستّروا على حماقة ارتكبوها، وآخـرون يكذبون كسلاً، لعدم قيامهم بواجباتهم المدرسية، أو تهرّباً من أداء خدمة أو معروف. وهنالك الذين يكذبون بدافع من الغرور أو الغباء، كي يسبغوا على أنفسهم شيئاً من الأهمّية أو ليجتذبوا إليهم الأنظار... لكن لم تكن تلك حال الصبي الذي نحن بصدد الحديث عنه: كان يعمل بجد وكان خدوماً وجريئاً ومتواضعاً. فإذا ما ارتكب حماقة (ويقع له ذلك مثلما يقع للجميع)، تحمّل النتائج بكل جرأة، ولم يُلقِ باللوم على الآخرين البتةَ... لكنّه يكذب هكذا، بكل بساطة، ودونما سبب، من غير أن يعود ذلك عليه أو على الآخرين بأي نفع.

كان ذلك عيبه الوحيد، لكنّه عيب شديد الخطورة: فلا يمكن للمرء أن يثق بشيء من كل ما يقول.

وطفح الكيل بأمّه ذات يوم فأخذته إلى طبيبة.

كانت الطبيبة، وهي جنّية، تجلس في حجرة كبيرة شديدة البياض وملأى بـأدوات معدنية. فترتدي مريلة بيضاء، وتضع على عينيها نظارتين سميكتين. وفيما كانت الأم تتكلّم، كانت هي تمعن النظر في الصبي من غير أن تقول شيئاً. وأخيراً سألته قائلة:

- ماذا فعلت يوم أمس؟

فقالت الأم:

- لقد ذهب إلى المدرسة.

فقالت لها الدكتورة:

- دعيه هو يجيب. إذن قل لي، ماذا فعلت في المدرسة؟

فأجاب الصبي من دون أي تردّد:

- أخذتنا المعلمة إلـى القمر؛ حيث اصطدنا سمكاً قمرياً.

فقالت الأم:

- لكنّ ذلك غير ممكن!

فقالت الدكتورة:

- دعيه يتكلّم. وعند الظهر، ماذا أكلت في البيت؟

- شطيرة مـن الخشب المحروق مع عظمة قديمة منخورة.

فقالت الأم:

- ذلك غير صحيح، فأنت تعلمين...

- دعيه، دعيه..وأمّا بعد الظهر، فماذا فعلت؟

فهمست الأم قائلة:

- كان لديه درس في الرسم.

- دعيه، أرجوك... إذن، ماذا رسمت؟

- رسمت عجيزة المعلّم.

- ماذا تقول؟

- رسمتُ عجيزة المعلم. لقد ذهب معلّم الرسم إلى اللوح، فأرخى سرواله، وأرانا عجيزته فقمنا برسمها.

وكانت الأم حزينة جداً هذه المرّة، فلم تنبس ببنت شفة. أمّا الدكتورة فقد رفعت نظارتيها ومسحت عينيها براحة يدها اليمنى، مسحاً خفيفاً. وأخيراً قالت:

- لقد فهمت. لا بأس، وما دام الوضع هكذا، فأنا سوف أقدّم لك هبة. أنت، بدءاً من هذا اليوم، لن تكذب أبداً.

- أبداً، على الإطلاق؟

- أبداً، على الإطلاق.

- وطول حياتي؟

- طول حياتك.

وما الحال إذا ما رغبت في الكذب أيضاً؟

فقالت الدكتورة:

- أنت لن تكذب أبـدًا، حتى لو رغبت في أن تكذب. فكلّ ما ستتفوّه به، وكلّ ما ستقول سيكون هو الحقيقة. وعلى ذلك أنصحك، من الآن فصاعداً، أن تفكّر قبل أن تتكلّم!

وفي مساء ذلك اليوم نفسه، قالت أمّ الصبي لابنها:

- ألا ترى أنّ ساعة النوم قد حانت؟

- لا أستطيع يا أمي: هنالك أسد رابض فوق سريري.

- هيّا، حسبك التفوّه بالحماقات، امض إلى سريرك بسرعة.

وخـرج الصبي الصغير، الـذي كان مطيعاً، دون أن ينطق بكلمة واحدة. لكن، ما إن دخل إلى غرفته، حتى توقف في العتبة وقد جمّده الرعب: هنالك أسد ضخم أصفر اللون جاثم فوق سريره، وهو ينظر في وجهه. وما إن رأى الصبي ذلك حتى ارتدّ على عقبيه، وهرع إلى أمّه قائلاً:

- أمّاه، أنت تعرفين أنّ ذلك غير صحيح، فليس هنالك من أسد فوق سريري.

- أعرف ذلك حق المعرفة، يا حبيبي. فهيّا إلى غرفتك، وسوف أتبعك لأتمنى لك ليلة سعيدة.

وعـاد الصبي إلى غرفته. وكان خائفاً بعض الشيء من أن يجد الأسد، لكنّ الأسد قد توارى.

أنتم تعلمون أنّ تلك الواقعة تدعو إلى التأمّل فيها. إلا أنّ صاحبنا لم يفقد عـادة الكذب على الفور. واستيقظ ذات صباح فقال لأمّه:

- ألا تـدريـن يـا أمـي؟ لقد احترقت المدرسة في هـذه الليلة. وهـي مدمّرة تدميراً تاماً!

فقالت الأم:

- حسبك التفوّه بالحماقات. هيّا قم فاغسل وجهك.

ولـم يكن الصبي بحاجة لمن يحثه، فقد توجّه من تلقاء نفسه للعناية بهندامه. ثم ارتدى ملابسه وتناول فطوره ومضى مبتهجاً إلى المدرسة. حتى إنّه لم يعد يفكّر بما قد قال. ولدى آخر منعطف في زاوية الشارع، استشمّ رائحة دخان. فارتدّ على عقبيه، وتوقف أمـام المنزل وشرع يصيح بأعلى صوته:

- أمّاه! أمّاه!

فأطلّت أمّه من النافذة وقالت:

- ما بك يا بنيّ؟ هل نسيت شيئاً؟

- أمّاه، أنتِ أدرى بأنّ ذلك غير صحيح، فالمدرسة لم تحترق!

- لا أشك في ذلك، يا حبيبي... والآن، هيّا، أسرع: فلسوف تصل متأخراً!

وانطلق الصبي الصغير مجدداً. وحين انعطف عند زاوية الشارع، رأى المدرسة هنالك، بيضاء شامخة وراسخة البنيان. وكان هنالك دخان أيضاً، لكنّ ذلك الدخان يتصاعد من كومة من الأوراق الجافة التي كانت تحترق ببطء وسط الساحة.

وبعد ذلك، لبث الصبي عشرة أيام من غير أن يقول كذبة واحدة! أمّا في اليوم الحادي عشر، وكـان يـوم أحـد، فلم يعد يقوى على ضبط نفسه. ولمّا كان يستعدّ هو وأمّه للقيام بزيارة إلى جدّته، فقد صاح على نحو مباغت:

- ألا تدرين يا أمي؟ إنّ جدتي قد ماتت!

فشحب لون أمه وقالت غاضبة:

- حسبك التفوّه بالحماقات! يا لها من فكرة سيّئة!

وخرجا بصمت فاجتازا المدينة. وحين أصبحا على مقربة من بيت الجدة، شاهدا جمهرة أمام بابها، كمثل ما يُشاهِد المـرء فـي الـشـوارع لـدى وقـوع حـوادث السيارات. فهنالك نساء ورجال، واثنين أو ثلاثة من رجال الشرطة. وكانوا جميعًا يتناقشون ويقومون بحركات كبيرة. واستولى الخوف على الصبي الصغير، فقال:

- أنـت تعلمين يا أمـي أنّ ذلـك غير صحيح! فجدتي لم تمت، وهـي بصحة جيدة!

فقالت الأم وهي ترتجف:

- أعرف ذلك جيداً، يا حبيبي.

وحثا الخطى.

كانت الجدة هنالك، واقفة أمام الباب، وهي في أحسن حال، أمّا وجهها فمحمرّ غضباً! ذلك أنّ لصّاً دنيئاً قد دخل بيتها قبل ذلك بربع ساعة، وهو يشهر سكيناً...لكنّ الجدة جريئة، لحسن الحظ: فقد تناولت ملقطاً كبيراً، وتعاركت مع اللـص، وصـرخـت بـشـدةٍ وأحـدثـت جلبة جعلت الجيران يُقبِلون لنجدتها. فهرب اللص، لكن بعد فوات الأوان: لقد قبضوا عليه على بعد مئة متر من المنزل.

والحكاية، على العموم، تنتهي هنا. لكنّ الصبيّ الصغير الذي يحب جدته، قد استبدّ به خوف شديد جعله، بدءاً من ذلك التاريخ، يكفّ عن الكذب نهائياً، أو نهائياً تقريباً...حتى إنّه إذا ما شاءت المصادفة وخطر بباله أن يتسلّى بكذبة صغيرة، كان يبدأ بالتفكّر طويلاً، ليكون واثقاً من أنّ كذبته لن تسبّب الأذى لأحد.

كانت تلكم حكايةَ الصبي الصغير الكذاب.

فقدان

ماري تاريان
ترجمة د. نورا أريسيان (عن الأرمنية)

لم يكن ليخطر في بال المرء اختراع ساعة نفقدها، حتى الساعات المحددة لما سنقوم به.. ألم يحصل لك أن تسرع كي تفعل شيئاً ما حين ليس لديك ما تفعله؟!. أليس كذلك؟ تعطي ثواني قليلة للساعة، وتجد أحدهم يحصي كم من الوقت نمضي في النوم والأكـل وأمور مماثلة...

أحـاول الآن نزع قشرة البرتقال كي أصل إلى الحلو بسرعة، وآكلها شريحة شريحة، فهي ألذ، عدا ذلك أشم رائحة البطيخ الصيفي في الشتاء، وأنفي يركز عليها من بين آلاف الروائح، ورائحة الصابون في طفولتي، إنه أمر مروع في نهاية الأمر..

يسخّن الشاي ذكرياتي. وقد تلوّن إبريق الشاي بكل الألوان الممكنة والمستحيلة، بحيث يشك في الشاي، أم أنا التي لا أفقه شيئاً!

الشاي الذي برد من البارحة، لون شايي في الصينية لا يمنحني أي لون، أنا ممتنة للشاي الذي قدّم البارحة، فليعش معي فترة أطول... لن أغسل كأسي، فليعش السكر في القاع، ويتعانق السكر ويدخل إلى العمق، مباشرة إلى القلب... لقد أمضيت ساعات معه، ولم يسامحني، أمضيت وقتاً طويلاً، واختفى كل شيء، ولا غرام منه، ولا عقارب الساعة...

تفوح رائحة البرتقال في راحة يدي، لم أغسلها، فهي لم تلتصق بأحد، ولم تشارك رائحة أحد، ربما لن يكون لدي الوقت..

في يوم من الأيـام، حين أصبح جدة، لن أتذكر هذا اليوم العادي، سأذهب إلى الطبيب وأطلب منه أن أكون مصابة بمرض تصلب الأنسجة. الأفضل ألا نتذكر، من أن لا يكون لدينا شيء نتذكره... مثل الجدة في البناء المقابل، منذ سنة وفي كل يوم آتي إلى الحانوت وأراهـا تحمل الكيس نفسه، وحدها التجاعيد تتزايد عن صورة الفتاة الشابة من الألوان المتساقطة يوماً بعد يوم، ربما من الأيام المتساقطة في الحياة (ولم يعد هناك مكان لتجاعيد جديدة على وجهها)..

تأتي الجدة وقد اشترت الخبز، تجلس أمام المبنى وتتذكر وتتذكر، وتبقى جالسة حتى يأتي إليها حفيدها خاوي المعدة، يأتي إلى الكيس، وهي ما زال لديها أيام تعيشها حتى الذكريات الخالدة، لكن الحياة قصيرة على جمع ذكريات كافية للخلود، وهناك من يمضي وقته ويحصي متوسط عمر الإنسان..

أمي، اعذريني، بعد تأخير 18 سنة فهمت أن قضاء 18 دقيقة معك هو معجزة، أنت أقرب إلى الموت بـ18 سنة، ومهما فعلت ستمضين إلى الأمام، أما أنا فلا أذكر شيئاً من سنواتي الـ 18 سوى ما حصل البارحة أو أول البارحة وليس اليوم.

أبي، اعذرني، بعد تأخير 10 سنوات فهمت أنه بعد أن صفعتني لم يسقط شيء من عينيك، وأنني سأفتقدك وسأفتقدكم في كل لحظة من حياتي الباقية في بيت زوجي.

وهناك من أمضى وقته وأحصى بأن...، ترى أين كان والداه في تلك الأثناء؟!.

فـوق رأسـي يوجد سقف يحافظ على رأسـي من طفولتي، بتشققاته العميقة، ولكن من دون أن يتقاطر الماء، حتى أمطار طفولتي جفت..

إنه قاتل الوقت على حائطي، الذي سيعيش مؤكداً أطول مني...

ملاحظة: ربما أضعت وقتاً في كتابة هذه الأسطر، وإن لم تضع وقتك أنت أيضاً فلن أموت...

طفولتي

آرون هكتور شميتس

ترجمة : معاوية عبد المجيد

هل أرى طفولتي؟!... أكثر من خمسين عاماً تفصلني عنها. قد تستطيع عيناي الوصول إليها إذا كان الضوء – الذي ما زال يرتدّ منها – لا يحجبه الكثير من العوائق، فأيامي وبعض الساعات تبدو كجبال شاهقة.

أوصاني الدكتور – الذي كان سيغادر تريستا في هذه الأيام ولمدة طويلة – أن لا أبالغ في النظر بعيداً. فهو يقدّر الأمور الحديثة أيضاً ولا سيّما أحلام الليل واليقظة. لابد لي رغم هذا من ترتيب بعض الأشياء كي أساعده في مهمته، لذا قررت أن أبدأ من الأصل.

فما إن خرجت من العيادة حتى اشتريت كتيباً عن التحليل النفسي، وقرأته. ولم يكن صعباً على الفهم، لكنه كان مملاً.

وبعد وجبة الغداء، استلقيت على ديوان مريح، وفي يديّ قلم وورقة. تبدو جبهتي صافية، لأني محوت كل جهد من ذهني، وعقلي يبدو منفصلاً عني: أراه يعلو ويهبط... هذا كل ما يفعله. أقبض على القلم كي أذكّر عقلي بمهمته، وأنّ التفكير من وظيفته. وهاهي جبهتي تتجعد لأن كل كلمة تتألف من حروف عديدة. فيهيمن عليّ الحاضر ويتلاشى الماضي.

حاولت البارحة أن أتجرد عن أحاسيسي كلها، ولكن المحاولة انتهت بنوم عميق. ولم أجن منها شيئاً سوى راحة نفسية وحدس عنيد بأني قد رأيت شيئاً مهماً في أثناء نومي، لكنني نسيته، وضاع إلى الأبد.

وبفضل القلم أبقى يقظاً اليوم. فأتخيل أموراً غريبة لا تمت لأيامي الماضية بصلة: كقاطرة تنفث دخاناً في صعودها وتجرّ عربات لا تحصى، علم الله من أين أتت وأين تمضي ولماذا صدفت هنا!

وفي أثناء النعاس أتذكر ما كان يؤكده الكتيب بأن هذه الطريقة تساعد على تذكّر الطفولة الأولى؛ أي عندما يكون المولود ملفوفاً في القماط. فأرى على الفور طفلاً ملفوفاً في القماط! ولكن لمَ عليّ أن أكون أنا ذلك الطفل؟ إنه لا يشبهني إطلاقاً؛ بل قد يكون ابن أخت زوجتي الذي ولد منذ أسبوع بيدين صغيرتين وعينين كبيرتين كأنه معجزة. يا لك من طفل مسكين! أجل سأتذكر طفولتي! ليس بوسعي إخبارك حتى عن جدوى تذكر طفولتك، وأنت تعيشها الآن، كي تحافظ على عقلك وصحتك. متى ستدرك أهمية أن تحفظ حياتك عن ظهر قلب، بما فيها تلك الأيام التي سوف تنوي نسيانها؟ وبينما ستحث جسدك الصغير – من دون وعي – على البحث عن السعادة، سوف تودي بك اكتشافاتك اللذيذة في الألم والمرض الذي دفعك إليه أولئك الذين لم يرغبوا يوماً بذلك. ما العمل؟ فمن المستحيل أن أراقب المهد الذي تنام فيه.

في صدرك أيها الطفل ستحدث مخالطات غامضة. فكل دقيقة تمر تحمل أموراً جديدة. لديك من احتمالات المرض ما يفيض بك، فليست كل الدقائق صافية. كما أنك سليل عائلة أعرفها جيداً أيها الطفل. فحتى لو كنت تمضي الآن ساعات هنيئة، إلّا أنّ العقود التي هيّأت لك فرصة الوجود لم تكن كذلك بالتأكيد.

ها أنذا بعيد تماماً عن الصور التي تسبق النوم... سأعيد الكرّة غداً!

المؤلف:

ولد آرون هكتور شميتس (Aron Hector Schmitz) في تريستا Trieste ، سادس إخوته الثمانية، في التاسع عشر كانون الأول عام 1861، وكان والده تاجراً ثرياً، حتى إنه أرسل أولاده إلى ألمانيا ليتعلموا اللغة وأصول التجارة كي يساعدوه في المستقبل. لكن هكتور ما إن أتقن الألمانية – إلى جانب إتقانه للفرنسية، والإيطالية من قبل – حتى انكب على قراءة غوته وشيلر وأدباء القارة وفلاسفتها، وأهمل دراسته التجارية ليكتب القصص القصيرة والمسرحيات التي لم يكمل معظمها.

عاد إلى تريستا عام 1878 ليلتحق بالمعهد العالي للتجارة؛ وكان والده يمر بصعوبات مادية، فعمل في إحدى المصارف. غير أنه ما زال يفكر بإتمام قصصه، ويتقلب من مدرسة فكرية إلى أخرى، حتى نجح عام 1880 في التعاون مع إحدى الجرائد الهامة (l'Indipendente di Trieste). وكتب فيها مقالات نقدية في المسرح والأدب والفنون الأخرى، إضافة إلى بعض القصص والمونولوجات، تحت اسم مستعار اي. ساميلي.

في عام 1906 يرغب سفيفو بتحسين لغته الانكليزية، فيتعرف إلى الكاتب الايرلندي جيمس جويس الذي يدرّس اللغة الانكليزية في مدينة تريستا حينذاك. ويترك هذا اللقاء آثاره على حياة سفيفو، فيشجعه على معاودة الكتابة، واصفاً إياه بالكاتب المجهول. فيباشر الأخير بتأليف بعض المسرحيات وإتمام أخرى. ويتعرف إلى علم التحليل النفسي، في تلك المرحلة أيضاً، من خلال علاقته بوليم شتيكل تلميذ فرويد، وإدواردو فيس الذي يروج للتحليل النفسي في تريستا.

وتبدأ مرحلة الاعتراف بأهميته بعد ذلك؛ فتترجم أعماله وتتسع الدراسات عن أدبه في أوروبا وإيطاليا أيضاً.

وما فتئ الكاتب ينعم بنجاحه ويؤلف القصص القصيرة حتى تفاجئه المنية في 13 أيلول 1928 بعد حادث سير. فتبقى الكثير من أعماله غير مكتملة.

ليس لنا حق

هاري ستيفن لازيروس

ترجمة : محمد ابراهيم العبدالله

التحذير:

«دع الكلاب النائمة مضطجعة»، لا بد أن يقصد به الجسد الذي في الشارع، تجاهله فأنت تخاطر برؤيته وهو يوخز أحلامك للأبد، ليس لنا حق، لا حق لنا بأن نشبك يدينا وننزل إلى شارع المدينة المظلم، لا حق لنا أن نقف ونتبادل القبلات بحرارة، لا حق لنا أن نسكر على رائحة جلودنا ونحن نتعانق، لا حق لنا أن نكون هنا جميعاً، إثارة التجاوز أضيفت إلى عاطفتنا، أتى الليل لأجل عشيقين محظورين. في البداية أردنا الاستمتاع بالشوارع المقفرة، والريح الباردة التي تداعب وجوهنا، والأنوار الرائعة لجسر بروكلين التي تلقي بوهجها على الظلام، والمياه الزيتية للنهر الشرقي، الأهم من ذلك كله، الاستمتاع بأوهامنا المؤقتة للحرية، غداً لن يأتي مثل هذا الليل أبداً، وسيُحفظ بأمان في جزء سري خاص من دماغنا، كما تُحفظ الجوهرة في صندوق محكم، ليؤخذ ويُدّخر في خصوصية أفكارنا، أو هكذا فكرت.

قالت «تعال» وهي تهز رأسها هازئة، وتشير إلى شارع آخر، أجبتُها «لا أدري «، يبدو أنه أكثر ظلمة من الشارع الذي كنا فيه، سألتني والسخرية في صوتها» هل تخشى أن تجد زوجي وهو ينتظرنا في إحدى هذه الأزقة؟»

كان ضحك أماليا شيئاً عجيباً، كان صوتها ملائكي، تجد فيه المنجز الكبير للرب، قالت: «هو عنده بندقية كما تعرف، وأضافت « سيقتلنا لو أنه وجدنا مجتمعين. هو يكرهكَ»،ضحكتُ ضحكة جميلة، جذبتني إليها، وقبلتني، قالت:»سنجد زقاقاً، وستضمني واقفة». استدرنا من الزاوية إلى شارع مجهول هكذا كان حينما رأيناه، رجل مستلق بلا حراك على الأرض، لا يبعد كثيراً عن البالوعة، أكان ميتاً؟ أم كان في سبات الثمل؟ أمصاب؟ دنوتُ منه، لحقت بي أماليا مكرهة، جسمها الذي كان في يوم ما لا وزن له، تجده الآن يعيق حركتي، لم يكن الرجل ميتاً، فقد كان جسده يهتز بعض الشيء، ويصدر أنيناً ضعيفاً من فمه، الظلام منعني من مشاهدة إن كان هناك دم، قلتُ « الأفضل أن نستدعي الشرطة « سألتني « هل تتذكر قصة الشارع رقم 51 ؟ «

كيف لي أن أنسى هذا؟ كانت على صدر صفحات كل الصحف، ما إن بدأنا قضيتنا الخاصة بوقت قصير، اثنان محظوران قررا أن يكونا سامريين طيبين، تدخلا للمساعدة، كانت مكافأتهما أن نشرت أسماؤهما وعلاقتهما غير الشرعية في المدينة كلها، قالت أماليا بتؤدة « لو استدعينا الشرطة علينا أن نقدم لهم إفادة « قالت: هذا وهي تركز على كل كلمة، وكأنما تتحدث إلى طفل في موضوع خارج نطاق فهمه، وأضافت بالنبرة التعليمية ذاتها « إفاداتنا القادمة ستكون تفريقاً للمحامين»

قلتُ لها محتجاً « لا يمكننا تركه «

قالت « لن نتركه، لأننا لم نكن هنا البتة، سيراه شخص آخر ويساعده، حاولت أن تبعدني عنه، حدقتُ في الجثة الهامدة، قلتُ متمتماً «هذا ليس صحيحاً»

قالت « تعال « وهي تجرني « سنكملُ في الفندق «

سمحتُ لنفسي أن تقودني، بدأت أماليا بالركض وتبعتها راكضاً، وصلنا إلى محطة المترو بأنفاسنا الأخيرة، بدأنا بنزول الدرج، كانت الشرطة في الأسفل يصعدون، مررنا بجانبهم صامتين، لن يكون هناك فندق مع أماليا، لا هذه الليلة ولا غيرها، ولم أتحرر من صورة ذلك الجسد الذي في الشارع، فقد ألهب مخيلتي إلى الأبد.

هاري ستيفن لازيروس : كاتب أمريكي ولد في بروكلين ، وعاش في نيويورك وفي تكساس ، يعمل الآن كمهندس برمجيات في برنامج الفضاء .

العيد.. قصة من الأدب النسوي الكوبي

آنا ماريا سيمو
ترجمة : توليب ماهر الأرناؤوط

تلك أول مرة أرى فيها عمتي (البرتين)، كانت ترتدي تنورة من الدانتيل الأزرق، وقد رأيتها قبل ذلك، كانت هنا حين ولدتُ واعتمدتُ في الكاتدرائية؛ والتي تزوج أهلي فيها، الاشبينة في عرسهما، قالت، تزوجا ببساطة لأنهما لا يحبان الأبهة. لكن سبب هذه البساطة أن ذلك الاحتفال غير العلني الخاطف يعود إلى وضع والدي الاقتصادي الهزيل، الذي كان بائعاً متجولاً على البيوت يبيع طلاء الأظافر.

في ذلك اليوم كانت عمتي (البرتين) في طريقها إلى حضور العيد، وكانت أول مرة أتأملها، فما كنت أهتم وأنا في السابعة من عمري إلا بالأثاث الخشبي المصنوع من (الاكاجو) القاتم، لفرش الصالات وقطع الجص التي كانت تسقط من الجدران بتأثير الرطوبة، وصورة القلب الأقدس ودجاجة والدي التي كان يحتفظ بها في الباحة عاقداً العزم أن ينذر نفسه لتربية الدواجن.

انتظرتُ (البرتين) وجدتي بضع دقائق على الباب، ومع أن عمرها المعترف به يناهز الخامسة والعشرين، فإن جدتي كانت تصطحبها إلى حفلات الرقص كلها من غير أن يكف بصرها الثاقب عن مراقبتها. ورأيت عبر النافذة جدتي ترتب لها غطاء ثوبها بحركة خفية عنيفة منتصبة القامة، مرفوعة الذقن أقلتنا عربة استأجرها خاطب يدعى (كيسيران) وهو ابن أخ صاحب مخزن الثياب، وقد توقع له الناس كلهم الفوز في الانتخابات المقبلة ليصبح مستشاراً في قائمة الليبراليين. وهو الذي خطب عمتي (البرتين) بعد مستخدم الحاكم الذي حاول جاهداً تقبيل عمتي (البرتين) من غير أن يوفق، مخادعاً جدتي التي كانت تتمايل فوق مقعد ينتصب أمام كنبة منحنية.

ما أكثر الذين طلبوا يد (البرتين)! فهي تحكي بنبرة صوت خافتة، كيف كان يبرز في كل شهرين تقريباً رأس جديد من السور الحديدي الموازي للشارع، فيكلم عمتي الجالسة على طرف الشباك من الداخل. وبعد بضعة أيام، كان يسمح للخاطب أن يلج البيت ويجلس على مقعد بعيد عن مقعد (البرتين) غير بعيد عن مقعد جدتي، لكي تستطيع تفحصه بعناية، وبعد هذا الاختبار تجلس عمتي والخطيب على مقعد يقرب بينهما، يفصله إلى شطرين حاجز خشبي وشبك من الحديد مركوز بعناية. ولم تكن (البرتين) تخاصم خاطبها قط. إلا أن زياراتهم كانت تتناقص، والنزهات تغدو كئيبة إلى أن يحتل شخص جديد المكان. وعلى مر الزمن فقد غطاء المقعد بريقه الأبيض الزاهي، وكف الخطاب عن الجلوس إلى النافذة على التدريج. آنذاك عقدت جدتي العزم على إرسال تنورة عمتي (البرتين) الزرقاء إلى المصبغة أول مرة، ورأت من الضرورة بمكان تنجيد الكنبة التي كان يستخدمها أهلي واستخدمتها أيضاً زمناً.

بلغت (البرتين) الثلاثين من عمرها. وفي ذلك الصباح أيقظتها عمتي مبكرة لتقدم لها هديتها باقة من الدنتيل الأبيض لفستانها الأزرق. فلم تعجبها حياكتها، فأعادتها إلى الدكان لتجلب واحدة أكثر منها كلفة.

وسمعت والدي وأنا في سريري ليلاً يحتج على هذا التبذير قائلاً:

_ ومن تظنين نفسك.. هل تحسبين أن المال ينبت على الشجر..؟

ثم حدث صمت. قطعه صوت أمي التي كانت تهمس لأنها تخشى أن تسمعها جدتي أو (البرتين).. لا أعلم لماذا يلزمها هذا المقدار من الدانتيل والحاجيات الأخرى.. وكنت أراقب المشهد ورأيت عبر الكلة شكلاً أبيض يجتاز الباحة باتجاه حجرة (البرتين)، ثم سمعت بعد قليل ضحكة.. وصوتاً خنقته الوسادة..

وكفت عمتي عن الجلوس إلى النافذة بعد الظهيرة، وما عادت تقول لي ضاحكة، إن قضبان حديد السور هي واجهات الزواج. وأصبحت حين تتكلم عن الماضي تركز كلامها على خطّابها القدامى:

في أيام الحرب حين كان الألماني يزورنا. ما فتئت تذهب إلى حفلات الرقص مع جدتي. لم يرجعهما أحد إلى البيت بالسيارة، ورأيتها مرة أو مرتين تكلّم في زاوية الطريق رجلاً يكاد يكون أصلع.. ولم يكن يدخل البيت، بل عدل عن المرور من هذا الحي، وذوت صحة جدتي من دون مرض ظاهر. وفي الصيف أصابتها هزة نفسية تخلصت منها.. كانت تجلس قليلاً في السرير، تسألني وهي تفتح عينيها عن (البرتين)، فأزعم أنها ذهبت إلى العيد.. فتغلق هاتين العينين اللتين كنت أراهما في حلم مزعج.

البرتين ذهبت إلى العيد.. إلى العيد.. إلى أن تحيد عني نهائياً...

أغلقت المدرسة أبوابها في شهر حزيران. وكان عمري اثنتي عشرة سنة، وكنت أقضي أيامي في البيت مع عمتي، وكان والدي يغادره باكراً للتفتيش عن عمل، ولا يعود إلا مساءً مع أمي، التي كانت تعمل في مخزن بيع ثياب..

وفي بعض المرات، وكانت أمي تتكلم عن المخزن الكبير الذي تركته جدتي. وينتهي النقاش أبداً حين كان يقول والدي: لم يمض على دفن والدته غير شهر واحد، وأنه لا يريد أن يمسَّ الموضوع مطلقاً. هذه هي الثروة الوحيدة التي نتركها للصغيرة.. وهذا ما يرضي أمي. أما (البرتين) فتسمع من دون أن تتفوه ببنت شفة.

حتى ذلك الحين كنت وعمتي على وفاق تام؛ حيث كانت تشرق حلاوة في سهراتها وحين تخرج إلى الحديقة تصطحبني، ولكن بعد وفاة جدتي كانت تؤنبني لأي سبب، وتصرخ قائلة: إنني فتاة قليلة التهذيب. وهي تعلم أن هذه هي الإهانة الوحيدة التي يمكن بها أن تجرحني.

وذات صباح بعد واحدة من هذه المشاجرات، سألتها: ماذا حلّ بفستانها الأزرق..؟ وندمت على سؤالي المريب؛ حيث أخفيت وجهي بصورة حزينة ظناً مني أنها سوف تنهال عليّ بالضرب.

نظرت إليّ زمناً وهي جامدة لا تتحرك، ثم أخرجت حافظة نقودها من الصندوق لتقول: هيا اذهبي واشتري لنا زيتوناً. ذهبت مسرعة إلى الدكان. وما إن عُدتُ حتى وجدتها في غرفتها، وقد أغلقتها عليها، وفي علبة خلف الباحة كومة من قطع النسيج الأزرق، نصف محروقة، لا يزال يتصاعد منها الدخان.

ومنذ ذلك اليوم كفت (البرتين) عن الخروج من حجرتها، كانت في الثامنة صباحاً تخرج ثم تعود خلسة إلى المغسلة، وما أن تعود إلى حجرتها، حتى تأخذ بترتيب ذكرياتها؛ تتأمل أقراطها والصور والرسائل، وما لم تتحلَّ به وسائل التبرج.

كنت أقرأ كتباً محرمة في الحجرة المجاورة، ومن هناك كنت أسمع ما يجري داخل الحجرة. أترك الكتاب في مخبئه في درج منسيّ في خزانة جدتي، ثم أخرج إلى الباحة متلصصة، فيمكنني أن أراها من خلال شقوق الباب، كانت ترتدي الروب الذي لبسته حين انتخبت ملكة جمال الكرنفال. وتتبختر بأبهة في القاعة محيية من هم على يمينها وشمالها بمروحة لم يبق منها سوى هيكلها.. كانت ترفع ذيول ثوبها وتجلس على السرير، وتناجي نفسها، وكنت أراقبها فترة، ثم أعود لأبحث عن كتابي، وأنا أقفز على قدم واحدة، لأتحاشى السير على جوانب البلاط، ولم أكن أستطيع قراءة صفحة واحدة رغم بذلي الجهد؛ لأنني ما عدت أجد لذة في قراءة الكتاب.

لم تعد (البرتين) تتركني أدخل حجرتها عند الظهيرة، فقط كنت أرى وجهها بضع ثوان، حين كانت تفتح الباب قليلاً لتأخذ الطعام الذي كنت أحمله إليها. كان جسمها ينتفخ كل يوم. وتتقلص حدقتا عينيها بعنف في النور، وبدأت تطلب أكثر من الطعام. وأخذت أتنازل لها عن حصتي لكي تسمح لي بالتعرف إلى أسرار حجرتها.

والآن بدأت أراقبها بصورة دائمة، وأمضي اليوم وأنا أتأملها، وهي تقوم بنزهاتها التي لا تنتهي، وأنا جالسة على كرسي وضعته أمام شق الباب.

نسيت الكتب الممنوعة، وغدوات يوم الأحد في فترة ما بعد الظهر، والنزهات الطويلة على الشاطئ مع (أرنست) وهو جار يكبرني بقليل، وكانت تدهشني جرأته وتصميمه، ونخدع أهلنا أننا في المدرسة. وطوال العطلة الصيفية لم أتحرك من مركز مراقبتي إلا قليلاً، ولم أقل شيئاً قط لأهلي؛ لأني لا أريد أن أشاطرهم سري. وكنت أعلم أنهم ينغصون على عمتي حياتها طوال النهار. وأنها نامت منذ ساعة لأنها قد تعبت. وواقع الأمر أنني كنت أنظف البيت، وأجلب لوازم الطعام، وأرتب كل شيء قبل أن تنهض من نومها، وحينذاك أقف حارسة بشغف أمام بابها.

إن انهيار صحتي يسبب نقص غذائي. والخوف من افتضاح أمري قد شغل بال والدي، فأمرني أن أقف في الشمس وسط الباحة كل صباح، كما أجبرتني أمي أن أشرب زجاجة من زيت السمك، كنت أعلل شحوبي بجهد الدراسة أو انشغالي بافتتاح المدرسة. وهذا ما كان يطمئنهم زمناً...

سمنت (البرتين) حتى لم يعد بمقدورها ربط قميص نومها، كانت تقترب من الباب وتستدعيني. فأعدو إلى الباحة لأخفي الصندوق. وحين تبرز أتظاهر أنني أستمع إلى المذياع في صالة الطعام. فتطلب مني أن أوسع لها تنورتها؛× إذ ربما ارتدتها في حفلة الرقص.

وكنت أحاول أن أشرح لها أني كففت عن تقديم حفلات الرقص في كل يوم أحد، كانت تبتسم من دون أن تفهم وتمدّ لي التنورة. وكانت تفوح منها رائحة رطبة ممزوجة برائحة السنتال. وكان الصندوق مغطى بقوارير يعلوها الغبار من كل مكان. وتتكدس على السرير التنانير ومحافظ اليد البالية.

وعلى أرض الغرفة قطع من المجلات وبقايا النسيج، وفي زاوية تحت السرير إناء ماء مملوء بالفقاعات. كانت تحسب حساب فضولي، وتدفعني خارجاً وتغلق الباب بعنف. وفي ظهيرة يوم من الأيام طلبت مني أن أضع لها غداءها في الباحة، رأيتها من فوق سلم، تفتح الباب قليلاً، وتخرج خلسة يدها وتدخل الصحون إلى غرفتها، ثم تصفها فارغة في المكان نفسه. وقد كررت هذه الحركة في الأيام التالية.

وكانت نهاية شهر آب. فأخذتُ أعدُّ الأسابيع المتبقية لافتتاح السنة الدراسية، وكنت أريد أن أرجئ الموعد؛ إذ علي أن أترك حراستي باب البرتين.

كنت أحلم أن أمي سوف تقبض علي من عنقي لتبعدني عنها، وكنت أختنق شيئاً، فشيئاً كلما كنت أبتعد عن حجرة عمتي، وأخذت أكره أبي وأمي، وكنت أعرف أن البرتين تمارس نشاطها في الليل خشية أن يكشف أمرها.

وبعد ظهيرة أحد الأيام بقيت أمام حجرتها تحت مطر مدرار يتساقط، ولم أحسب له أي حساب حتى سالت قطرات المطر على وجهي، وتظاهرت أن زكاماً أصابني، فمنعني من الذهاب

إلى المدرسة، لكن والدي اقترح أن يقودني إلى الطبيب وهذا ما جعلني أعدل عن فكرتي وقبل يومين من استئناف الدراسة، سقطت من السلم فوق أرض الباحة، ما سمح لي بالبقاء في البيت أسبوعاً، وقد ربطت ذراعي بالجبص. ولم تعرف عمتي ما حدث، وحين نُمِيَ إليها الخبر، اكتفت بهزّ رأسها وخفض أهدابها وقاية لعينيها الدامعتين من النور.

وفي المشفى فكوا رباط ذراعي في الصباح، فقفلت راجعة إلى البيت خشية ألا تفوتني بداية الاحتفالات التي تمارسها عمتي. أخذت تتكلم هذه المرة أكثر من عادتها، وتجر جسدها الثقيل بصعوبة بين الأغراض المكدسة داخل الغرفة، وتحرك بعنف مروحتها كما لو كانت قد فقدت الرقابة على يدها اليمنى بعض الأحيان، كانت تضحك بصوت منخفض، وهي تقلب رأسها إلى الخلف ضحكاً قاسياً مصطنعاً. وتنتهي كل ضحكة بصفير حاد، حين تتنفس بصعوبة، وكان الشحم الذي أحاط برقبتها يبدو كأنه يخنقها. ولكنها كانت تسيطر على هذه الأزمة الطارئة؛ إذ تتنفس الهواء بما بقي من المروحة، وتشتم قارورة الكولونيا الفارغة منذ زمن طويل.

في تلك الليلة لم أستطع أن أغفو. كنت أتأمل ذراعي التي شفيت وأنا مستلقية على سريري. كان اليوم الثاني يوم دراسة، فأفرغت حنقي على الكتب التي رتبتها فسقط بعضها. وصدر عنها صوت اختلط بصوت حاد:(البرتين) تغني. فاجتزت الباحة حافية القدمين، وأنا متأكدة من أن والدي قد سمع الضجة؛ وأنه سوف ينهض ليأخذ عمتي إلى خارج البيت.

ولم أعرف لماذا كانت الشقوق أكثر ضيقاً من المعتاد، وكيف تخدشت عوارض الخشب لكي تجرح وجهي. وفي الداخل مازالت عمتي تغني بصوت ثقيل مشوه: هنا في سوريا

فتاة من موريتانيا

...

أووووه.. موووره ره سك

حبيبي...

وضعت يدها على رأسها بوقار مضحك

لا تقتليني

أكثر من هذا...

كما وضعت شالها حول رقبتها، وقد علقت عليه كل حليّها، وأخذت تدق الأرض بقدمها، وترسم بعض الخطوات من دون أن تخرج من دائرة وهمية، ثم أخذت تقلد صوت الناي في رقصة تذكر بموزارت..

لم يكن اللحن لموزارت؛ بل كان نغماً راقصاً ليس أكثر.. ورقصت الفالس ثم رقصة أخرى: الدانوب الأزرق التي تنشد في كل مناسبة. وكانت أحياناً تقهقه بصوت عال، ومرة ثانية تتناول قدحاً شفافاً بين أناملها، تحيي القادمين، وتأخذ تدور بجنون من جدار إلى آخر، وهي تصطدم بالأثاث.

في الصباح كانت الأمطار غزيرة، كنت أرتجف من البرد، وانتهى عيد البرتين.

حين وصل الضياء إلى آخر زوايا الباحة. انسحبت عمتي بعد أن رفعت ما يتدلى من ثوبها، وابتسمت في غرفتها وقد ضمت شفتيها، وسقطت بثقل على السرير دون أن تخلع ثيابها. عدت إلى غرفتي مع حرصي ألا يسمعني أحد.

لم أستطع أن أفتح جفنيّ من الإعياء حين جاءت أمي لتوقظني، وسمعتها تقول إنها ستتركني أغفو كل فترة ما بعد الظهر، لكن شمس الظهيرة كانت أيقظتني. فسرعان ما قفزت من السرير، وقطعت الباحة وأنا أفكر بأن البرتين بقيت لوحدها للمرة الأولى منذ شهور عدة حتى هذه الساعة. وتوقفت هناك قرب الباب، وقد أخذني الخوف من أن أجد الحجرة خالية. قمت بجهد مؤلم، ونظرت من شق الباب، فرأيتها على ما كنت قد تركتها عليه في الصباح الباكر جامدة على سريرها. وحسبتها نائمة؛ لكن السكون الشامل جعلني أتخلى عن فكرتي، وهذا ما زاد قلقي، لكن رائحة بارود ورطوبة وغبار غمرتني حين اقتربت من السرير وسط النور الخافت. ولم أعد أشعر بذراعي ولا بوزني؛ وفقدت كل حساسية في ساقي، ولاحظت أن يدي تتحرك ببطء مخيف. مددت يدي إلى البرتين، وبان لي أن تصلب يدي لم يكن طارئاً، وبقيتُ هكذا واقفة. وحين خرجت إلى الباحة كان قد حل الظلام.. وشيئاً فشيئاً خرجت عن جمودي، وزالت رائحة الغرفة؛ حيث تتمدد البرتين، بوجهها المنتفخ الشاحب، على المخدة، وشفتيها الجافتين المتباعدتين فعلاً، وشعرها الأشعث، والعبير الحائر فوق حاجبيها، إني حاولت أن أناضل لكي أقبض بناحية الذكرى الهاربة؛ لكن رائحة جديدة قوية حلت بمكانها، ألا وهي رائحة البحر القريب الذي كان يهاجم في تلك الساعة الصخور مع أول تباشير عواصف الصيف.

بعد عشرين سنة

الأمريكي او هنري

ترجمة : بشار سليمان

كان الشرطي الذي يقوم بنوبته ليلاً، ويتجول في المنطقة التي أوكلت إليه مهمة حراستها، يمشي بثقة عالية تنم عن شهامته وقدرته العالية في القيام بواجبه. مع أن احتمال مرور أحد من رؤسائه أو كبار ضباطه ضئيل جدًا؛ ولاسيما أن الطقس بارد وقارس. لكن مشيته هذه بحذر وثقة تنم عن قيامه بواجبه على أكمل وجه وإخلاصه في عمله، وليس تصنعاً او مباهاة بنفسه. كانت الساعة حوالي العاشرة ليلاً؛ حيث الناس مسرعون إلى منازلهم اتقاء المطر الشديد. ولم يبق سوى ذلك الشرطي الذي أخذ يتفقد الأبواب والمحال التجارية مختبرًا أقفالها. وكان يقوم بحركات رائعة بهراوته الغليظة وهو يمشي، لا يقوم بها سوى الإنسان العبقري. كان يتلفت يمينًا ويسارًا يراقب الشارع الهادئ ليطمئن إلى أن الأمن مستتب، جاعلاً من نفسه صورة عن رجل الأمن النشيط والمخلص.

كان أصحاب المعامل والمخازن يتوقفون عن العمل في ساعات مبكرة من الليل. ومع ذلك يكاد لا يخلو الأمر من حانوت صغير أو مطعم ليلي تخرج منه الأضواء. وفجأة يبطئ الشرطي في خطاه، ويتوقف عند منتصف الطريق؛ حيث شاهد رجلاً عند مدخل أحد المتاجر وهو واقف ومنحني الرأس. وكان في فمه سيجارة لم يشعلها بعد. ما إن اقترب من الرجل حتى بادره الرجل بالكلام بسرعة قائلا بشكل مطمئن: إن الأمور على ما يرام سيدي الضابط. أنا بانتظار صديقي هنا. لم نر أحدنا الآخر منذ عشرين عاماً، وقد اتفقنا أن نتواعد هنا. يبدو أن الكلام مضحك قليلاً بالنسبة إليك؛ أليس كذلك؟ حسناً سأوضح لك ذلك. إذا كنت تريد أن تتأكد من أن كل ما أقوله صحيح، أريد أن أخبرك بأنه كان مكان هذا المتجر الذي نقف فيه مطعم اسمه (مطعم جو بريدي الكبير) قال الشرطي: نعم صحيح كان هنا منذ خمس سنوات، وقد تم هدمه. أشعل الرجل السيجارة، فتمكن الشرطي من رؤيته عن طريق نور عود الثقاب. كان وجهه شاحباً ويملك فكين عريضين وعينين حادتين. وندبة بيضاء صغيرة عند حاجبه الأيسر. وفي ربطة العنق التي يرتديها مشبك ماسي موضوع بطريقة خاطئة. سحب الرجل نفسًا عميقًا من السيجارة، وقال: منذ عشرين عامًا وفي مثل هذه الليلة نفسها، تناولت العشاء مع صديقي جيمي في هذا المكان ذاته. كان أعز صديق بالنسبة إلي، ومثالاً للصداقة الحقيقية. ترعرعنا معًا هنا في نيويورك تمامًا مثل أخوين. كنت في الثامنة عشرة من عمري وجيمي في الحادية والعشرين. وفي صباح اليوم التالي لتلك الليلة كان علي أن أتجه إلى الغرب لزيادة ثروتي. كان من الصعب إقناع جيمي بأن يذهب معي لأنه يحب نيويورك، ويريد أن يبقى فيها؛ لأنه يعتقد أنها المكان الوحيد على سطح الأرض. حسنًا لقد اتفقنا أن نلتقي هنا في المكان نفسه بعد عشرين عامًا من ذلك التاريخ. مهما تكن ظروفنا صعبة، ومهما بعدت بيننا المسافات. وقررنا أن نسعى وراء رزقنا خلال عشرين عامًا وبغض النظر عن النتيجة التي سنصل إليها. قال الشرطي: سيكون لقاء ممتع جدًا بعد هذا الزمن الطويل؛ ولكن قل لي :ألم تتراسل مع صديقك طوال هذه الفترة؟ قال الرجل الآخر: نعم تراسلنا لفترة محددة، ولكن بعد سنة أو سنتين انقطع التواصل بيننا، ولم يسمع أي أحد منا شيئاً عن الآخر. كما ترى إن الغرب في الواقع واسع جدًا، وبقيت أتجول فيه بهمة ونشاط. لكن أنا متأكد إذا كان جيمي على قيد الحياة، سوف يفي بوعده، ويأتي إلى موعدنا هذا. لأنه كان دائمًا صادقًا معي. لقد قطعت الألف ميل لأحضر إلى هذا المكان، ولايهمني كل هذه المتاعب إذا كان صديقي سيأتي. أخرج الرجل ساعة ذات غطاء مرصع بالذهب، وقال:إنها العاشرة إلا ثلاث دقائق. لقد كانت العاشرة تمامًا عندما غادرنا باب المطعم منذ عشرين سنة. قال له الشرطي: لقد حالفك الحظ في الغرب أليس كذلك؟ قال الرجل: هذا صحيح وآمل أن يكون جيمي قد فعل نصف مافعلت. كان انساناً يكدح طوال اليوم ليسد رمقه. أما أنا فقد تجولت مع عدد من أصدقائي الأذكياء حتى استطعت أن أجمع ثروتي. إن الإنسان يوضع نفسه في حفرة عميقة إذا بقي في نيويورك، وعليه أن يغادرها إذا أراد الحرية والتخلص من البؤس والشقاء. تلاعب الشرطي بهراوته، ثم أخذ خطوة أو خطوتين وهو يقول: سأكمل طريقي؛ آمل أن يأتي صديقك في الوقت المحدد، ولكن هل ستنتظره طويلا؟أجاب الرجل: لا، ولكن سأمهله نصف ساعة، إذا كان جيمي على قيد الحياة سيكون هنا في الموعد المحدد. طابت ليلتك سيد بوب قالها الشرطي متابعًا خطاه، ومتفقداً المخازن ومختبرًا أقفالها. وبدأت زخات من المطر بالهطول مع هبوب رياح باردة. أسرع القليل من المارة الى منازلهم، وقد انكمشو في معاطفهم وايديهم في جيوبهم. وعند باب المخزن الكبير ما يزال الرجل، الذي قطع ألف ميل لرؤية صديقه في مهمة تكاد تكون مستحيلة، منتظراً قدوم صديقه. وبعد عشرين دقيقة من الانتظار. فإذا به يرى شخصاً طويل القامة يرتدي معطفًا طويلاً. ما إن اقترب منه الرجل القادم حتى بادره بالسؤال: أنت (بوب)؟ فأجابه بوب بلهفة: من (جيمي)؟ فنظر القادم إلى وجه بوب قائلاً: يا الهي إنه بلحمه ودمه. ثم أمسك بيدي بوب قائلاً: يا إلهي بوب كنت متأكداً أني سأجدك هنا. حسنًا حسنًا إن عشرين سنة فترة طويلة حقًا. لقد تم هدم المطعم القديم؛ لو بقي هنا لتمكنا من تناول عشاء آخر. ولكن قل لي: كيف كانت الأحوال معك في الغرب يا صديقي؟ أجابه بوب: عال جداً؛ لقد حصلت على كل ما أتمناه في الغرب. ولكن يبدو لي أنك قد تغيرت؛ جيمي لقد كنت قصير القامة قبل عشرين عامًا. أجابه جيمي:لا تقلق لقد زاد طولي بعد أن تجاوزت العشرين. ثم سأله بوب: ماذا عن عملك هنا في نيويورك يا جيمي؟ أجابه.. حسنًا لا بأس لدي وظيفة في أحد دوائر المدينة. والآن سنذهب إلى مكان أعرفه جيدًا؛ نستطيع أن نتحدث فيه بأريحية عن ذكريات الماضي. سار الرجلان في الشارع جنبًا إلى جنب وذراعاً بذراع. وكان بوب قد أصابه البطر والأنانية من كثرة الأموال والغنى والنجاح الذي حققه من بلاد الغرب. وأخذ يحكي لصاحبه ما جرى معه في الغرب وصاحبه يستمع إليه بانكماش واندهاش لا يخلوان من المتعة، وهو منكمش في معطفه الذي غطاه من أسفل قدميه إلى عنقه. عندما وصلا إلى بقعة مضيئة تحول كل واحد منهم إلى التحديق بوجه الآخر.توقف بوب فجأة، وسحب ذراعه قائلاً: أنت لست جيمي.. صحيح إن عشرين سنة طويلة؛ ولكنها ليست كافية لتحويل أنف رجل من أنف طويل محدب إلى أنف صغير. فرد عليه الرجل: هي كافية لتغير إنسان طيب إلى إنسان سيئ. فسكت قليلاً ثم أردف قائلاً: سيد بوب، إنك تحت الإقامة الجبرية منذ عشر دقائق. إن شرطة شيكاغو عرفت بمجيئك، وتريد أن تقوم بدردشة معك، وقد أعطت أوامر بإلقاء القبض عليك. سوف تذهب معي بهدوء أليس كذلك؟ لكن قبل أن نذهب، خذ هذه الرسالة؛ طلبو مني أن أوصلها إليك اقرأها عند هذه النافذة وبسرعة.. أخذ بوب الورقة وفتحها بيده التي أخذت ترتجف، بعد أن بدأ بقراءتها، كانت رسالة قصيرة هذا نصها: بوب لقد كنت في المكان المعين في الوقت المحدد، وعندما أشعلت عود الثقاب، رأيت وجهك، فعرفت أنك المجرم الذي تطارده شرطة شيكاغو، فلم أشأ أن أقبض عليك بنفسي. فقمت بإرسال أحد عناصري لإلقاء القبض عليك بدلاً عني. التوقيع جيمي:رئيس شرطة المدينة

من يصير لديه ملف لا يلغى ثانية

عزيز نيسين
ترجمة : جمال دورمش

عارف بيك، رجل في الثانية والستين من العمر، متوسط القامة، سمين. لا هو ذو وجه مبتسم ولا عابس. كان يعيش هو وزوجته في بيت ورثه عن أبيه بين «بشيك تاش «و«نيشان تاش «، عارف بيك، كان من الناس الذين بين الفينة والفينة نود أن نشعر بهم ونقول عنهم «أااه، أه، لم يعد يوجد مثل أولئك الرجال «. رجل مستقيم ونزيه. لم ينحن بحياته لأحد. كان من النوع الذي يعيش لوحده ولا يتدخل بشؤون أحد ، يعيش في عالمه. يبتعد عن الشر ويغني له. عاش كل حياته بشرفه وكرامته..

غرفتان في الطابق العلوي مملوءتان بالكتب. سعادته الكبيرة أن يغوص بين الكتب..

درّس في الثانويات لسنوات طويلة. ومن دون توقف. وللاستفادة من خبراته تم تكليفه بمهام حكومية أخرى، ذات يوم أتاه أحد الأشخاص إلى مكتبه في الدائرة الحكومية، قال له بعد أن عرفه بنفسه إنه من الشرطة المدنية:

- يا معلم هناك شخص يدعى يشار يعمل في الديوان..

انزعج عارف بك الذي كان يتذكر يشار نوعاً ما، ظنًا منه أن الشرطي سيطلب منه مساعدة يشار عندما قال:

- لا أدري هل كنت سلمت يشار عملاً لو عرفت من هو؟. كان له ملف عند الشرطة واسمه وارد هناك..

وهنا ابتسم الشرطي ابتسامة رجال الأمن:

- يظنون أنهم سيفلتون مني. فالشرطة دائماً تعتقل أمثاله. اقشعر وانتصب شعر بدن عارف بيك. وتشكر رجل الأمن لأنه جاءه بالذات..

رد عليه رجل الأمن قائلاً:

- لكي نصل سوية إلى إنهاء هذه المسألة، يجب أن تعرف شيئاً. وأنا اعلمك بالموقف كي تكون صاحيا..

بعد ذهاب رجل الأمن راح عارف بيك يستقصي عن يشار. كان يعمل هنا بالمياومة. كان نشيطاً في عمله. لكن مهما كان فلا أحد كان يستطيع أن يأخذ على عاتقه مسؤولية تشغيل شخص له ملف عند الأمن..

صحيح كيف يشغلون أصحاب السوابق بينما الناس الشرفاء لا يجدون عملاً ؟! مباشرة قام عارف بيك بفصل يشار عن العمل. وبعد قليل دخل يشار إلى مكتب عارف بيك. رجل في الأربعين من العمر أسمر ونحيل. أمارات البكاء بادية على وجهه:

- يا سيدي أنا أعرف لمَ فصلتموني عن العمل. وأنتظر هذا منذ فترة طويلة..

هذه أول مرة يلتقي فيها عارف وجهاً لوجه مع واحد من ذوي السوابق. أشار له بالخروج لأنه لم يكن يرغب في السماع أكثر. إلا أن يشار لم يخرج.

وقال له:

- إذا سمحت يا سيدي، اسمعني لدقيقتين. المصيبة التي حلت بي ما هي إلا مجرد افتراء، كان ذلك قبل ستة عشر عاماً.. قد ينجر الإنسان إلى نزواته. لكنني دفعت ثمن ذلك منذ زمن طويل.

صرخ عارف بيك:

- هيا أخرج!...

لم يشعر في قلبه بأي شعور بالشفقة على هذا الذي له ملف لدى الأمن.

بعد فترة طويلة من فصل يشار زار رجل أمن عارف بيك. وقال له إن أحد المستخدمين له ملف لدى الأمن. عارف بيك هو الوحيد الذي يقرر تشغيل هذا المستخدم أو عدم تشغيله. لم يكن رجل الأمن يقول له شيئاً. إلا أنه يذكره ماذا يمكن أن يحصل في المستقبل.

أنهى عارف بيك عمل المستخدم. الذي بدوره انحنى على قدمي عارف بيك:

- لا أنكر هذا الشيء يا سيدي. لكنها مشكلة من عشرين سنة. يومها كنت شاباً طائشاً، وانصعت لأصدقائي.

رد عليه عارف بك:

- اعمل في مكان أخر.

يأتون خلفي أينما عملت ويعلمونهم. ليبعد الله الجميع عن ملفات الأمن. حتى أنني لا أستطيع العمل كبائع متجول. عندي زوجة وأولاد....

طلب عارف بيك أن يطردوه خارجاً

استغرب عارف بيك عدد من لديه ملفات عند الأمن. كل شهر كان يأتي شخص أو شخصان من رجال الأمن. عارف بيك كان يعرف من العاملين أسباب وجود ملفات لهؤلاء لدى الأمن. رجال الأمن لم يكن لديهم الرغبة في تسريح ذوي السوابق. فهذه المسألة تخص عارف بيك. لكنهم لم يريدوا أن يتحملوا هذه المسؤولية بالمستقبل.

ذات صباح يوم أحد، أتت مليحة خانم لزيارة عارف بيك في بيته. أتت كي تتوسل إليه من أجل ابنها عطا الله. لأن مصيبة ما حلت عليه عندما كان في الثانوية. أمه كانت تدعي أنها مجرد افتراء. لكن عارف بيك لم يصدق ذلك.

جميع ذوي السوابق كانوا يقولون إنهم ضحايا افتراء. وعارف بيك كان يعرف هذا بشكل جيد.

ابن مليحة خانم لم يرتكب شيئاً بعد هذه الجريمة، لكن عندما يقع أي شيء، أو عندما تحصل أي سرقة، فإنهم يجرجرونه حتى يظهر الحرامي.

لأول مرة شعر عارف بيك بالشفقة على من له ملف لدى الأمن. والد عطا الله كان صديقه. وقد توفي الرجل قبل ثمان سنوات. وكانت الأم تحاول متوسلة بواسطة عفيف بيك أن تلغي سجل ابنها لدى الأمن.

- ليبعد الله الجميع حتى أعدائي عن سجل الأمن، ابني لم يجد فرصة عمل في أي مكان. عمل في أماكن عدة إلا أنه لم يكمل الأسبوع. عمل بائعاً في متجر. إلا أنهم لم يسمحوا له.

لا شك أن عارف بيك قد أشفق على عطا الله. لكن مع ذلك لم يستطع مساعدة ذي سجل من ذوي السوابق..

وفي الليلة الثالثة من حديثه مع مليحة خانم.. دخل لص إلى بيت عارف بيك... اللص ملأ بطنه من المأكولات التي في المطبخ. وأخذ حذاءً من خزانة الأحذية ورحل. لم يستطع عارف بيك أن يجد حلاً لهذه الأحجية. لأن اللص إن شاء سرق من البيت بعض الأشياء الثمينة.

أخبر عارف بيك الشرطة أن لصاً دخل بيته. لم يكن يشك بأحد. في اليوم الثالث طلبوا منه راجين القدوم إلى مخفر الشرطة.

كان في المخفر ستة عشر لصاً من لصوص الليل. وبين هؤلاء كان عطا الله بن مليحة خانم. سألوا عارف بيك إن كان يشك بأحدٍ من هؤلاء. استغرب عارف بيك ولم يستطع أن يقول شيئاً.

ألقى عارف بيك القبض على اللص، بينما كان هؤلاء اللصوص الستة عشر في المخفر. اندس منتصف الليل في فراشه. سمع صوت قرقعة في الطابق السفلي.

نزل السلم على رؤوس اصابع قدميه الحافيتين. كان الصوت قادماً من المطبخ. القى نظرة من فتحة الباب الموارب. كان اللص نحيلاً ذا وجه مصفر، غير معروف العمر.

يتعامل بأريحية وكأنه في بيته. أنزل الآنية التي وضعها بعد إشعال موقد الغاز. وملأ منها صحنه بالمحاشي. ووضعه على طاولة المطبخ. قطع الخبز إلى شرائح رقيقة. وملأ كأساً من الماء. ثم أخذ مخللاً من الرف ووضعه في صحنه. كذلك سكب في صحنه فاصولياء حب. بعد ذلك أخذ كرسياً وجلس عليه وبدأ بالأكل. بعدما أكل بكل راحة. نهض عن الكرسي. كان عارف بيك تواقاً إلى أن يعرف ما سيفعله هذا اللص. لكنه انسحب مسرعاً حتى لا يتواجه معه. واختبأ خلف باب الصالون.

دخل اللص إلى الصالون. وأضاء المصباح هناك. ساعة جيب عارف بيك كانت على المنضدة. أمسك اللص الساعة من ثم أعادها ثانية. يبدوأنه نظر ليعرف كم الساعة.

عرف عارف بيك حذاءه الذي ينتعله اللص. هذا يعني أنه اللص الذي سبق أن دخل بيته...

خرج اللص من الممر واتجه إلى المدخل. وكان المعطف على المشجب. أخذ اللص المظلة. وعندما وصل إلى الباب الخارجي أطلق عارف بيك صوتاً «شششش «...

كان قد عرف اللص. حتى لو هرب، كان يمكن إعلام الشرطة عن شكل اللص. لكن اللص لم يأبه، والتفت نحو عارف بيك وتبادل الرجلان النظرات.

قال له اللص:

هل ستخبر الشرطة؟

طيبة هذا الرجل جعلت عارف بيك يتجرأ، ويقول له:

- طبعاً سأخبرهم.

جلس اللص على كرسي كان هناك، وقال:

- هيا أخبر.

اندهش عارف بيك، وسأله بصوت مرتجف:

- لم لا تعمل عملاً شريفاً؟

رفع اللص صوته مشمئزاً:

- هيا اذهب وأخبر الشرطة.

اليس من الأفضل أن تعمل؟

رد عليه اللص:

- أوففف !.. ويحك ألا تفهم أن لدي ملفاً لدى الشرطة؟!

سكتا، من ثم نهض اللص، وقال:

- أنا ذاهب.

وأخذ المظلة التي تركها:

- لأن المطر يهطل بغزارة.. هيا استودعتك الله.

خرج اللص وأغلق الباب. بعد هذه الحادثة بشهرين. ثمة تغير حصل في حياة عارف بيك. كان قد تعين أستاذاً في جامعة كابول. وسيمضي سنتين في أفغانستان..

أتم هو وزوجته كل التحضيرات. طبعاً لن يتركا البيت هكذا لمدة سنتين، لذلك قاما بتأجيره بمبلغ محترم. وذهبا إلى افغانستان.

عاد عارف بيك إلى اسطنبول بعدما درس في جامعة كابول لمدة عامين. إلا أنه لم يستطع الدخول إلى بيته لفترة من الزمن. لأنه وجد باب بيته ممهوراً بخاتم الشمع الأحمر.

تفحص وتمحص وعرف الأمور التالية: حول المستأجرون المنزل إلى مكان للقاء العشاق. والشرطة الأخلاقية داهمت المنزل. ليجدوا في البيت ثمانية أزواج. وهم بأوضاع مخلة بالآداب. لذلك ختم البيت بالشمع الأحمر. ونظراً لعدم المتابعة من قبل أحد، بقي البيت ممهوراً لمدة تسعة أشهر. وكل من مر أمام البيت عرف أن هذا البيت مخصص للقاء العشاق..

أخبر عارف بيك فوراً الشرطة. جلب رئيس مفرزة الشرطة الأخلاقية معه الملف، وقال:

- نعم، صحيح... تم تحويل بيتكم إلى مكان للقاء العشاق..

استشاط عارف بيك غضباً:

- أنا لا علم لي إطلاقاً.

ضحك رئيس قسم الشرطة الأخلاقية، وقال:

- بالتأكيد.. بيتكم أغلق بقرار من المحكمة. وانتهت المهلة. لذلك يمكنكم فتحه.

أول ما قام به عارف بيك بعد أن فتح بيته، أن زار الدائرة التي كان يعمل بها. استقبله أصدقاؤه خير استقبال. لكنهم كانوا يضحكون ضحكات ذات مغزى. لا أحد يجيب على سؤاله «متى سيبدأ العمل «لكنهم كانوا يقولون له إن بعض الأوراق ناقصة في معاملته. ويجب إتمامها. لكن هذه المعاملة لم تكتمل بأي شكل من الأشكال. كان أصدقاؤه يضحكون في كل زيارة له بشكل غريب. أخيراً فهم عارف بيك السبب.. قامت الشرطة الأخلاقية بتنظيم ملف باسمه بتهمة افتتاح بيت للقاء العشاق. وهذا هو سبب الضحكات والهمهمات التي كانت تتم.. ذهب لزيارة بعض أصدقائه من المسؤولين. ومن بينهم من كان من طلابه.

قال لهم:

كيف ذلك؟! ألا تعرفوني؟

أيعقل أن لا نعرفك يا أستاذنا؟! بالتأكيد نعرفك. يبدو أنه حصل خطأ ما..

عارف بيك يعمل الآن في عمله القديم. لكن أي عمل. فهولم يستطع إلغاء ملفه لدى الشرطة. لا توجد قوة يمكنها إلغاء هذا الملف. من فتح له ملف لا يمكن إلغاؤه.

لذلك كانوا يقولون له:

- نرجوك يا سيدي ليبق الملف، وما الضرر في ذلك. ألا يعرفك الجميع؟

لم يستوعب عارف بيك مسألة الملف. والآن بدأت الأحاديث حوله على الشكل الآتي:

- قام عارف بيك منذ فترة..

- أي عارف بيك؟

- يا روحي عارف بيك القواد..

عندها كان الجميع يعرف أي عارف بيك..

لم يستطع عارف بيك إزالة اسمه من الملف. كذلك لم يستطع رفع الملف تماماً، إذ كانوا يقولون له:

- لقد قدمنا شرحاً بأنه ليس لك أي علاقة بمسألة بيت لقاء العشاق.

ذات يوم إن اقتضت الضرورة لجمع أصحاب هذه البيوت، طبعاً سيبحثون بالملفات، وعارف بيك سيكون من بينهم. لكن نظراً لأنه لا علاقة له بهؤلاء، لذلك كتبت الإدارة شرحاً بملفه..

راح عارف بيك يشرح للجميع كيف أصبح ضحية الافتراء، وانتشر اسمه بأنه قواد. حتى لو لم يتحدث. فالجميع كان يعرف. ويضحكون ويتهامسون بخبث ويقولون «عارف القواد»..

قربان المساء

فلاديمير كروبين *

ترجمة : عياد عيد

من ذا الذي يعترض على أن النظر إلى الماضي أصعب من النظر إلى المستقبل؟ ثمة في المستقبل أمر واحد: الحساب الأخير, أما في الماضي فكل ما يحضِّر لهذا الحساب. عشتُ بين الناس الخاطئين وكنت أنا أيضاً أرتكب الخطايا, لا بل كنت أسوغها: الجميع هكذا, حتى إنهم أسوأ. لكن هذه الفكرة وحدها تتحدث عن أن الخاطئ الأكبر كان أنا. صار آدم بعد أن حمّل حواء الذنب خاطئاً أكثر منها.

اتحدت أماسيَّ الحالية كلها في مساء وحيد, هو مساء حياتي. تعال يا أخي نحاول ما دام فينا شيء من القوة أن نتخلص مما نتذكره فجأة أو نتذكره دائماً؛ أي مما يعيقنا. حان الوقت لننظف البيت. كم عشنا وكم عانينا! كيف غنينا أغنية البحارة: «كم نرى, وكم سنرى, وبعد الإبحار سيكون لدينا ما نتذكره في المرسى الهادئ». لكن الأمور لم تنجح بشأن مرسى الشيخوخة الهادئ, وكل ما رأيناه هل سينفع أحداً؟ نحلم وحسب بأن المعرفة لدى الآخر تنفع في «الحياة التي تسيل سريعاً». كلٌّ يجني أخطاءه.

ولذلك فأنا لا أتحدث عن شخصي, إنني أتحدث عن روسيا.

عند المرسى في هانوي جلبوا المومسات للجنود الأمريكيين في فيتنام ليرفهن عنهم. سفينة كاملة. ثم احتاجوا إلى السفينة من أجل نقل ما نهبوه, فتركوا المومسات وحيدات ببساطة. سرعان ما أصابهن الجوع وانقطعت السبل بهن. عرضن أنفسهن على الفيتناميين, فطردهن هؤلاء وضربوهن. رجالنا لم يختلطوا بهن أيضاً, لكنهم أشفقوا عليهن إنسانياً وعلى الطريقة الروسية. قدموا لهن الطعام. لا بل كانوا يحضرون مزيداً من الطعام لعلمهم بأن المومسات سيأتين.

قال لي أحد الشهود على هذه الواقعة: - الملفت أن فتيات جميلات كن بينهن وكن مستعدات لأي شيء, لكن لم يكن في مقدوري, أو مقدور أي أحد منا, حتى أن يفكر بأن يجلب العار لنفسه, ويقترب منهن بعد الأمريكيين.

ثمة هنا ما يستحق إمعان التفكير فيه.

صياح الديكة

الناس كلهم, فرداً فرداً, الذين خرجوا من القرى ويعيشون اليوم في المدن, يتذكرون الطفولة. تراودهم في أحلامهم ويحبون الحديث عنها. صيد السمك, النهر, الحصاد, الزحافات شتاء, المزاليج. سطوع البدر فوق بساط الثلج الفضي. رائحة الدخان من المواقد الروسية, والحديث يطول!

اشتاق أحد المسؤولين الكبار إلى غناء الديكة جداً. كان أطفاله قد طلبوا منه شراء ببغاء لهم, فاشتراه. تبين أن الببغاء قادر جداً على التعلم. حين سافر المسؤول في إجازة ليزور أمه العجوز أخذ معه الببغاء في قفص. وضع الببغاء في القرية في خم الدجاج فتعلم هذا الببغاء صياح الديكة في يومين.

وها هو يعيش الآن في موسكو ويصيح. حرمهم في البداية النوم, كان يصيح على غرار معلميه القرويين عند الفجر فصاروا يغطون القفص. عندئذ تعلم الصياح ليلاً نهاراً. وهكذا راح يعيش مذكراً بعضهم بالقرية، وبعضهم الآخر بديك الإنجيل الذي صاح مرتين، بينما كان الرسول بطرس ينكر المسيح ثلاث مرات.

طبعاً, سوف يصيح طويلاً ببغاؤنا الذي يمثل دور الديك, وسيعيش لزاماً أكثر من معلميه لأنه ليس مقدراً لمعلميه هؤلاء أن يعيشوا حتى الشيخوخة.

الحنطة السوداء

هاكم إحدى أفضل ذكريات حياتي.

كنت واقفاً في صندوق الشاحنة أتفادى أغصان الشربين المبللة. هدرت الشاحنة وانزلقت عجلاتها البالية مثل الأقدام الحافية فوق الطين.

اقتحمت الشاحنة فجأة حقل قمح هائل, ذهبي موشح بالأبيض. لفحتني رائحة لم تعرفها ذاكرة الشم عندي من قبل قط, رائحة عسل دافئة, وحتى حارة بسبب من شدة لفحها لوجهي.

حقل هائل من نسيج أبيض قطعه خيط الطريق البني الذي يغيب في الغابة القاتمة التالية.

***فلاديمير نيكولاييفيتش كروبين. ولد عام 1941 في فيتساكايا. خدم في الجيش السوفييتي. أنهى معهد التربية في موسكو. مؤلف رواية «المياه الحية» و«اليوم الأربعون» و«الوداع يا روسيا, سنلتقي في الجنة», و«الحمد لله على كل شيء», ورواية «إنقاذ الموتى» والكثير من القصص والملحوظات عن الشرقين الأوسط والأدنى وعن القسطنطينية. مؤلف «الأبجدية الأرثوذوكسية» و«التقويم الكنسي للأطفال» وكتاب «القديسون الروس». يعيش في موسكو.**

المراسلات:
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص.ب(3230) - هاتف 6117241-6117240 -فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 15ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشترك السنوي -داخل القطر:أعضاء اتحاد الكتاب العرب 500 ل س - للأفراد1000ل.س -وزارات ومؤسسات1217ل.س - في الوطن العربي:للأفراد300 ل.س أو30 $ - للوزارات والمؤسسات 4000ل.س أو40$-خارج الوطن العربي:للأفراد 6000ل.س أو $120 - للمؤسسات7000ل.س أو$140 والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجهات نظر أصحابها

www.awu-awu.sy
E-mail : aru@tarassul.sy

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:
- غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
- منضدة ومراجعة ومدقّقة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
- لا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمئة كلمة.
- يرفق مع المادة (C.D) أو ترسل عبر البريد الإلكتروني.
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.
- لا يرسل الكاتب أكثر من مادتين.

زيارة وفد المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب للسيد وزير الإعلام

قام المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب برئاسة رئيس الاتحاد أ. د. حسين جمعة بزيارة السيد وزير الإعلام د. عمران الزعبي في الساعة 12 من ظهر الأحد 2012/9/23.

وقدم المكتب التنفيذي خلال الزيارة درع الاتحاد تقديراً لجهود السيد الوزير المتواصلة ودعمه الكبير في سبيل إنجاح ندوة «المثقفون العرب والأزمة السورية...»، (أفكار وحلول) التي نظمها اتحاد الكتاب العرب خلال يومي الثلاثاء والأربعاء 18 و2012/9/19 ضمن عدد من المحاور هي:

1 ـ حرمة الدم السوري والحوار أساس أي حل بين السوريين.
2 ـ النسيج الاجتماعي والوحدة الوطنية.
3 ـ الحفاظ على الدولة ومؤسساتها وكيانها، والارتقاء بها.
4 ـ الديمقراطية والإعلام.
5 ـ الجيش درع الوطن والأمة.
6 ـ رفض كل أشكال التدخل الخارجي.

كما تم الاتفاق مع السيد الوزير على جملة من الأمور التي من شأنها ترسيخ التعاون التفاعلي بين اتحاد الكتاب العرب ووزارة الإعلام لما فيه خير سورية، لاسيما خلال المؤامرة التي تعصف بها. وكذلك جرى بحث السبل التي من شانها إيجاد الحلول لمعوّقات العمل الثقافي والإعلامي.

وركّز المجتمعون على أهمية العمل الإعلامي، والتأكيد على أهمية تطوير العمل الثقافي والنهوض به.

واتفق كذلك على مشاركة اتحاد الكتاب العرب في مجموعة من البرامج التلفزيونية الثقافية والسياسية بالتنسيق مع وزارة الإعلام.

من تاريخ وردة

ديوان شعر جديد للدكتور غسان لافي طعمة هو الرابع بعد «فاتحة يوسف العربي» و «جمرة الندى» و «مهاد الروح»، استهّله بسؤال محيّر: «من يستطيع أن يكتب تاريخ وردة؟!».

تضمنت قصائد الديوان مجموعة من الأحاسيس والرؤى والتساؤلات والأحلام، وقدّ رفّت روح وطنية وعروبية وإنسانية عالية حول بعض القصائد التي تناولت مأساة الإنسان في زمن فيه «صار اللص قديساً» «وقاتل أمه شهم جميل».

استطاع الشاعر عبر أبياته إيصال الفكرة دون أن يوغل في الترميز، وإن كان حاضراً بشكل مؤثر في بعضها، ضمن لغة مكثّفة حالمة تراوحت بين الرقة التي ناسبت قصائد العشق في الديوان وبين الحدّة النابعة عن كل غصّة ألمّت بالشاعر لا سيما في قصائده التي تناولت موضوع «فلسطين».

يقع الديوان في 121 صفحة وغلافه للفنان طعمة عبد الله طعمة.

نايات القصيدة غزالات الروح

ديوان شعر جديد للشاعرة أميمة ابراهيم باغتتها فيه القصيدة بصبح مكتمل القوافي لتخرج ليلاً من عباءة الحلم فتقبّل ثغر الضوء.

عطّرت أميمة ابراهيم قصائد ديوانها بالكثير من الحب والأمل والذكرى والحلم وأطلقتها في أثير الشعر وقد بدا جلياً انجذابها إلى نور القصيدة ليشعر القارئ بأن أبياتها همسات من الحنين العشق، ومضات من التمرّد والأسئلة والأمنيات.

قصائد شفافة حملت من الرقة ما يشدّ القارئ إلى عالم من حب وغيم وموسيقا فيسكره عبق القهوة والحبق وياسمين الدار ويشرب كأس القصيدة نخباً عتّقت فيه أميمة ابراهيم من الحروف نبيذ المفردات. يقع الديوان في 128 صفحة وغلافه للفنان التشكيلي سرور علواني ، وقد زُيّن برسوم داخلية مميزة للفنان التشكيلي فهد الربيق.

رحيل الأديب عبد الرحمن عطبة

نعى اتحاد الكتاب العرب رحيل الأديب الباحث عبد الرحمن عطبة الذي وافته المنية يوم الإثنين 2012/9/24.

ولد المرحوم في مدينة حلب سنة 1927، ودرس فيها ودرّس بعد نيل الشهادة الجامعية في الآداب.

عمل المرحوم أستاذاً جامعياً في جامعة قطر، وهو عضو في جمعية الدراسات والبحوث.

له أعمال أدبية كثيرة أوقفها على خدمة اللغة العربية وحراستها من الدعوات المشبوهة، ومن هذه المؤلفات:

- الصنوبري شاعر الطبيعة
- تطور الشعر في بلاد الشام
- في رحاب اللغة العربية

تغمد الله المرحوم بواسع رحمته ومغفرته، وأسكنه فسيح جناته، وألهم أهله وأصدقاءه وتلامذته الصبر والسلوان.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

الأسبوع الأدبي
جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام 1986

المدير المسؤول: د.حسين جمعة
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير: غسان كامل ونوس

مدير التحرير: حنان درويش

المدير الفني: نضال فهيم عيسى

هيئة التحرير:
إسماعيل الملحم - د. حمدي موصللي - زهير هدلة
-د. عادل فريجات - عياد عيد - مريم خيربك

ليس آخراً

غسان كامل ونوس

«إلى من يهمه الأمر»

يوسف المحمود.. سلامات

كأنّ الحياة تتّسع، بعدُ، لمواجع أخرى، كأنّ الحياة لا تستقرّ على نتوءات مألوفة، أو نهايات مرصودة، كأنّ في البال مصطبةً مسكونة للتفكّر والتساؤل والاحتمال، كأنّ في الهزيع الأخير مختبراً آخر للتأمّل والاقتناع والاصطبار!

لم تكن الأيام تسلس وهي توقد وتقاد، لم تكن السفوح تتبرّم وهي تحتفي بالقامة الفارعة لـ «يوسف المحمود»، تُباكر وتُشارِدُ، تُناهض الشجر الغرّ، وتُباغت الأحضان البرّية، فتصعّد القبّرات الشكوى، وتنفر العصافير ثم تدنو، ويتشاكس الزحف، ويتعالى الدبيب؛ لم تكن الانحدارات الحادّة تقسو على قفزاتٍ جادّة إلى قيعان النقيق، وتعلقاتٍ شادّة إلى مَطَلات الانشراح، وذرا الانفتاح والانطلاق إلى الآفاق.

لم تكن (عين الضيعة) تأسُن؛ لأنّ الدّلاء الملحاحة لا تعرف الراحة، وأصابع الابترادِ لا تهدأ، وصدى الخطو الراغب لا يعقِل ولا يتوكّل، وضجيج الهمس المتواري لا يتعب، ونبض العواطف المشبوبة لا ينوس..

وهاهي الشرفة في بيت السترة تهمُّ ثم تلتمّ، والعمر ينسرح ثمّ يأتُم، والحيلة تتوسّل الفتيلة!

لم تتوقف وعورة المسالك، ولم تألُف شراسة «الحدود"، وحدة الانعطافات لم تحنُ؛ ولم تَحُل مضايق الوقت والعتم والقنوط.. دون اجتراح المنافذ، واختراع المعابر، وابتداع الكُوى والرؤى..

ما يزال (المطر) إن همى (يفترق)، واستراق النظر يسوح ثم ينكسر، والمواويل تندلع وتجترع، والحسرة تكوي، واللوعة لا تلوي؛ لا العروق ترتوي، ولا البروق ترعوي، والأحاسيس تفيض فلا تنحسر..

وما في المشهد لا يُغني، وما في الأوقات لا يُسمن، وما في اليد لا يقيت، وما في الرّوع لا يبرح، وما في الرّوح أندى وأسمى..

ما بال السموت تضيق، والأركان تسكُن، والسقوف تدنو، والظلام لا ينام، والجراح تفيق؟!

ما (للحارات) تطأطئ كأن على رؤوسها الطير، وللحكايا حدود تنسلُّ سالّةً تَدمَى وتُدمِي؟!

ما للزاجل لا يطوف على «من يهمه الأمر»؟!

كأنه يخجل من فحوى «المحمول»، وهمّةِ المنادَى، ومضمون «المزروع فينا»، و«غربة الفتى العربي حتى في مغانينا»!

أم أنه مسبوق بغراب البَين؟!

وما يزال في انتظار البشرى و«الخبر اليقين»؟!

فيا يوسف المحمود..

«إذا جاز حسن سؤالكم عنا، فإنَّا ولله الحمد بصحة جيدة،» ولا ينقصنا إلاّ بعض الهدوء والكثير من الأمان، وسيرة تخلو من الذلّ والهوان، ومسيرة تتجاوز اللفّ والدوران، وأوقات بلا غدر أو خيبة أو حرمان، وأن لا نختنق من الكتمان، وأن لا نرتجي من الفاسق الخلاص، ولا من الفاجر العون، ولا من الفاسد النصح، ولا من الجائر حسن الختام!

ولا يجوز أن يشوّش الغبار نصاعة الوقفة، وأن يقزّم الصغار قيمة الشهامة، وأن يعكر الضلال نقاء السريرة، ولا يمكن أن يصدع الحزن جدار الثقة.

وإنّ بين «الرايتين» «لضربتين قاطعتين»، وليس الحقّ بخوّاف و«لا كسلان ولا عاجز"؛ وليس الفقد في سبيل الحقّ بخسران، «ولا بدَّ مما ليس منه بدّ»!

ويا يوسف المحمود..

مازلنا نأمل أن تحمل عنّا ما نعرف أو لا نعرف من رغبات ونزوات وأمانٍ وفيوضات، وما تعرف من ضعف ومظالم وخيانات وخذلان، وما لا نعرف من أوراق صفرٍ ووثائق «عصمليّة» وأختام «افرنجية» من زمن ولى، وما تزال تبعاتها تُنهِك، ومفرزاتها تُصدئ، ونفثاتها توسوس وتسوّس وتسمم..

يا يوسف المحمود..

ما يزال في حقيبتك الكثير، وفي جعبتك المزيد، وفي رؤاك ما هو أكثر..

وإن في ملامحك لرضا، وفي عواطفك لمواساة، وفي وجعك لقرباناً، وفي حضورك لغنىً وألفةً ودفئاً وأماناً.. وحاجة.

***

gassan.k.w@mail.sy